

AL-
YUN

Bobst Library



3 1142 01459 9487



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
212-998-2482
Web Renewal:
www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE

DUE DATE

DUE DATE

ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL

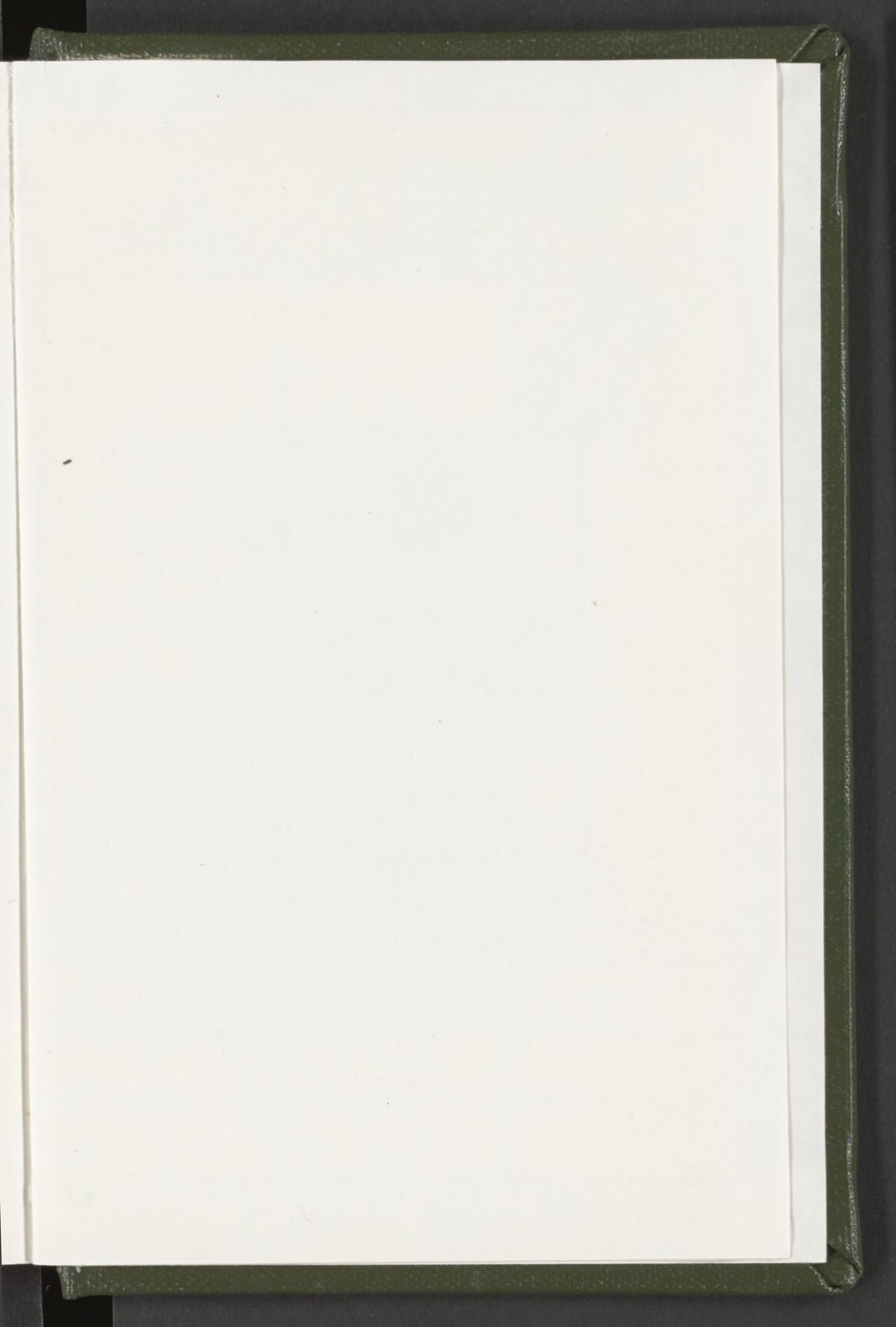
DUE DATE

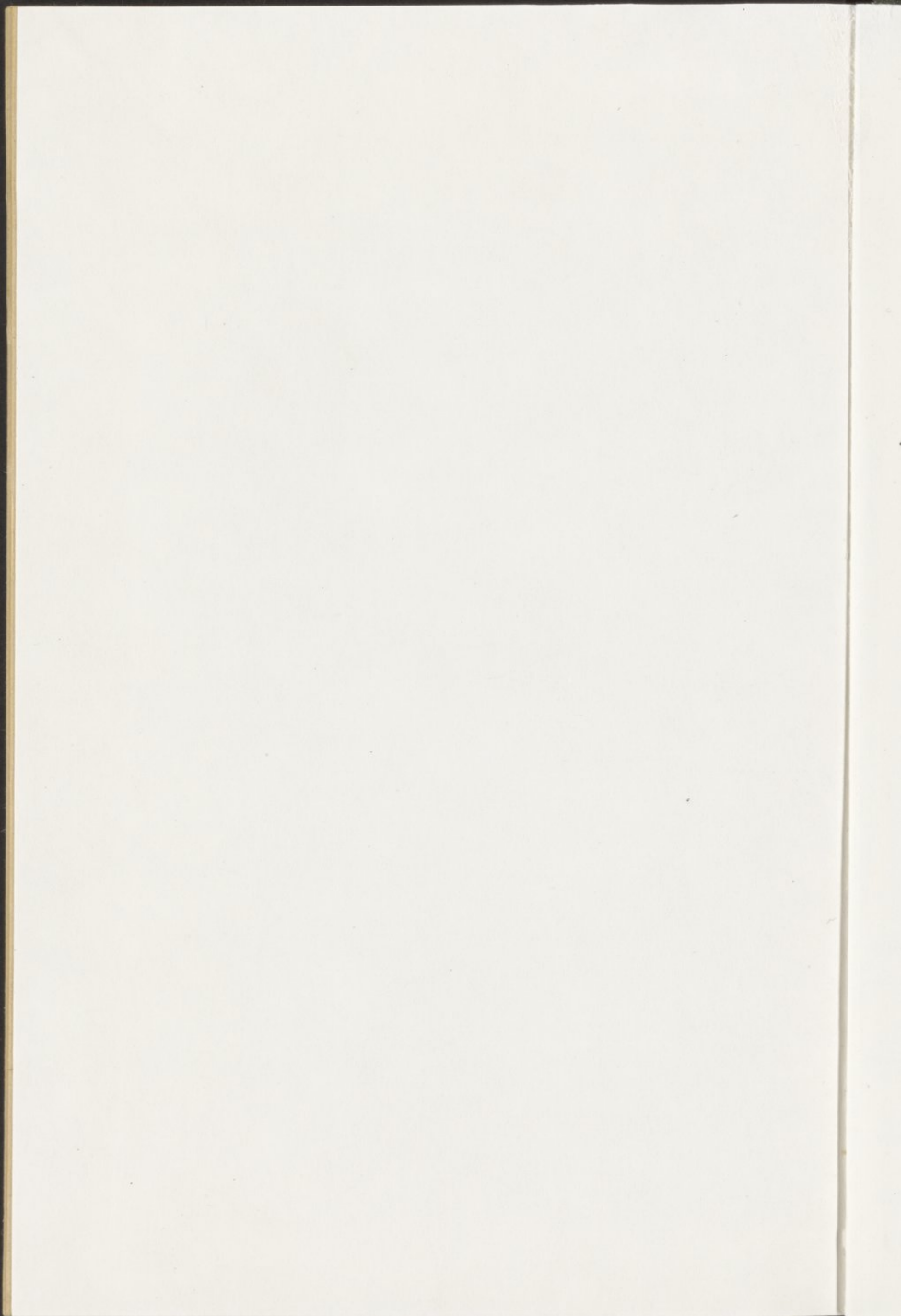
JAN 21 2001

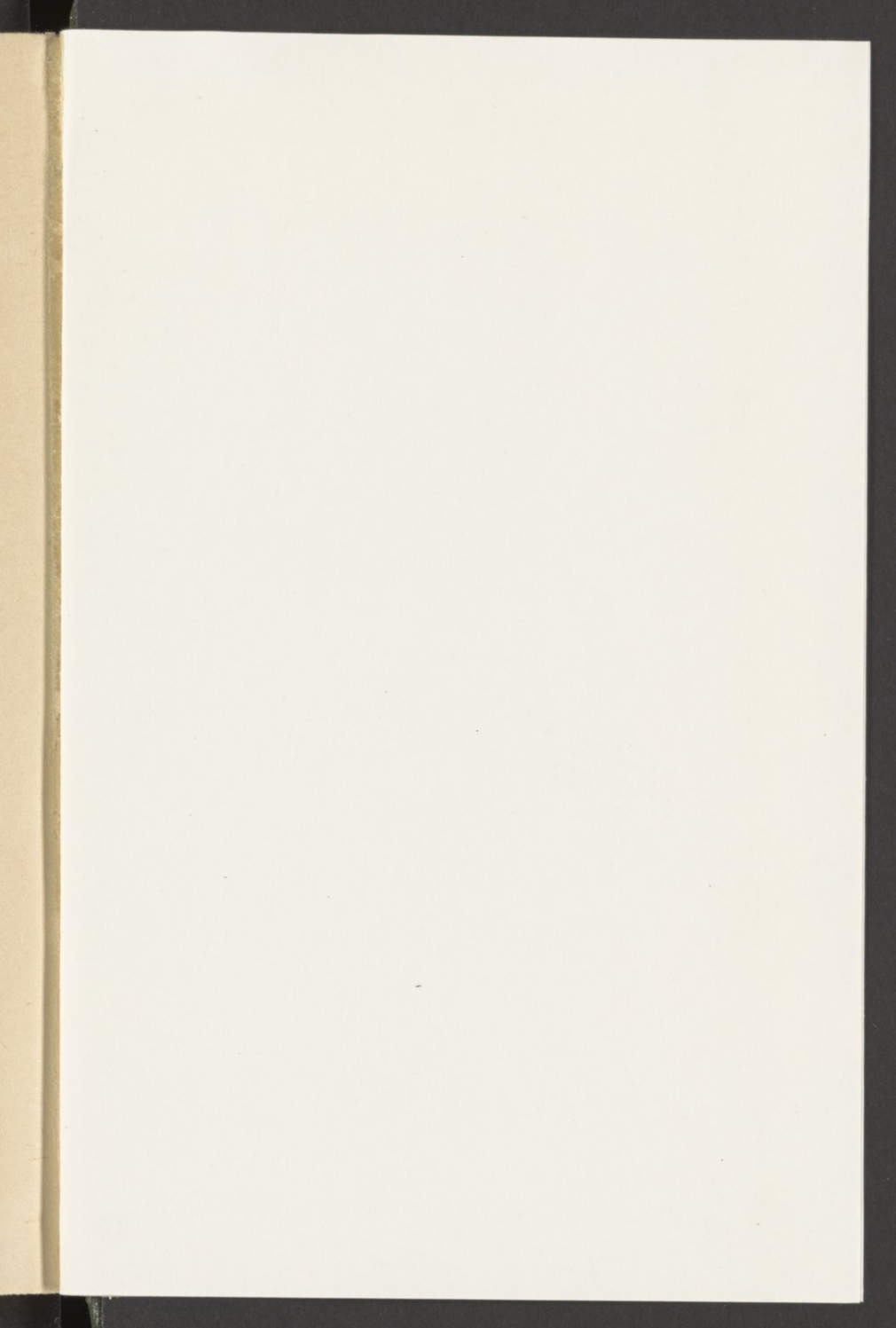
Bobst Library
Circulation

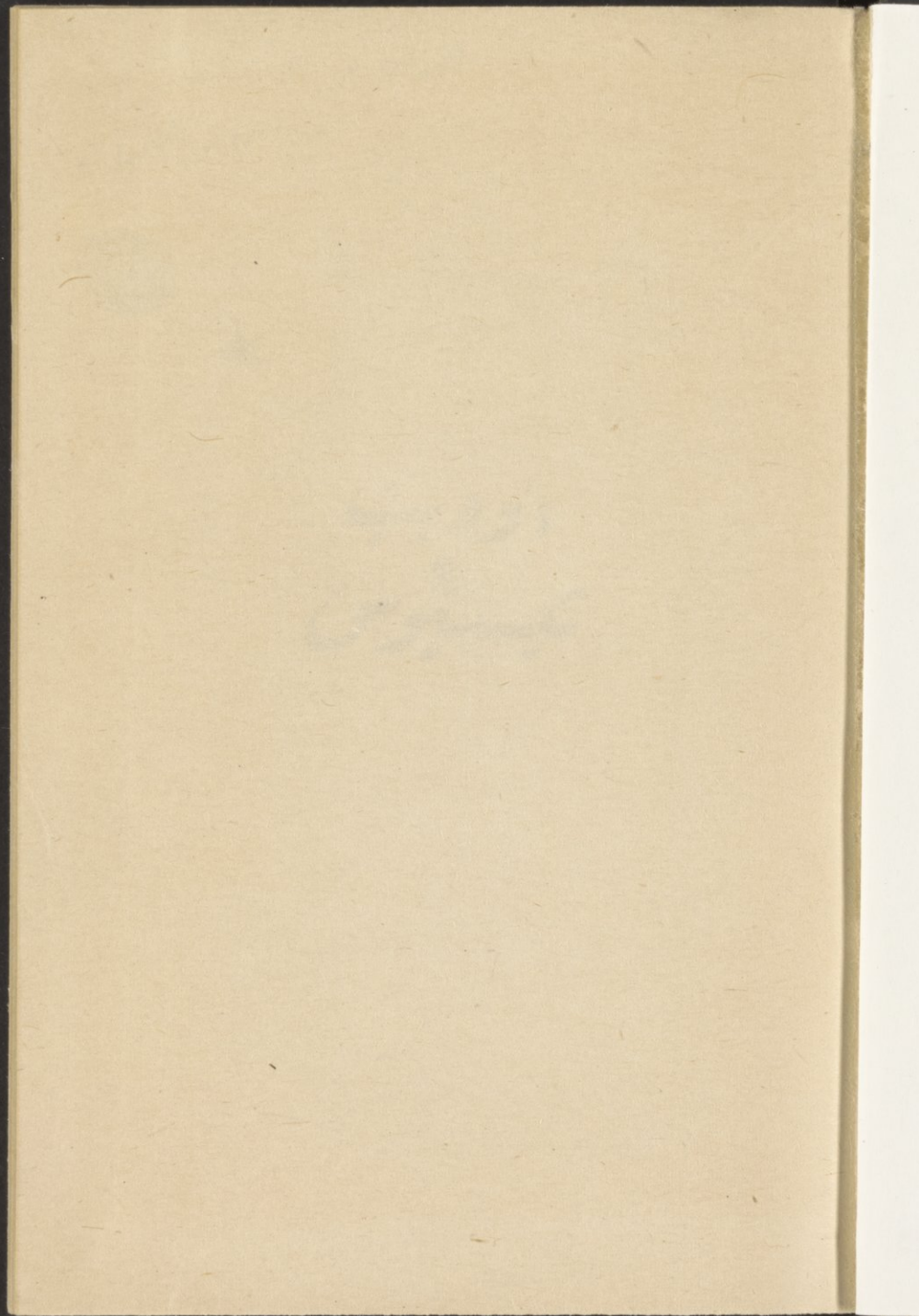
RETURNED
DEC 15 2000

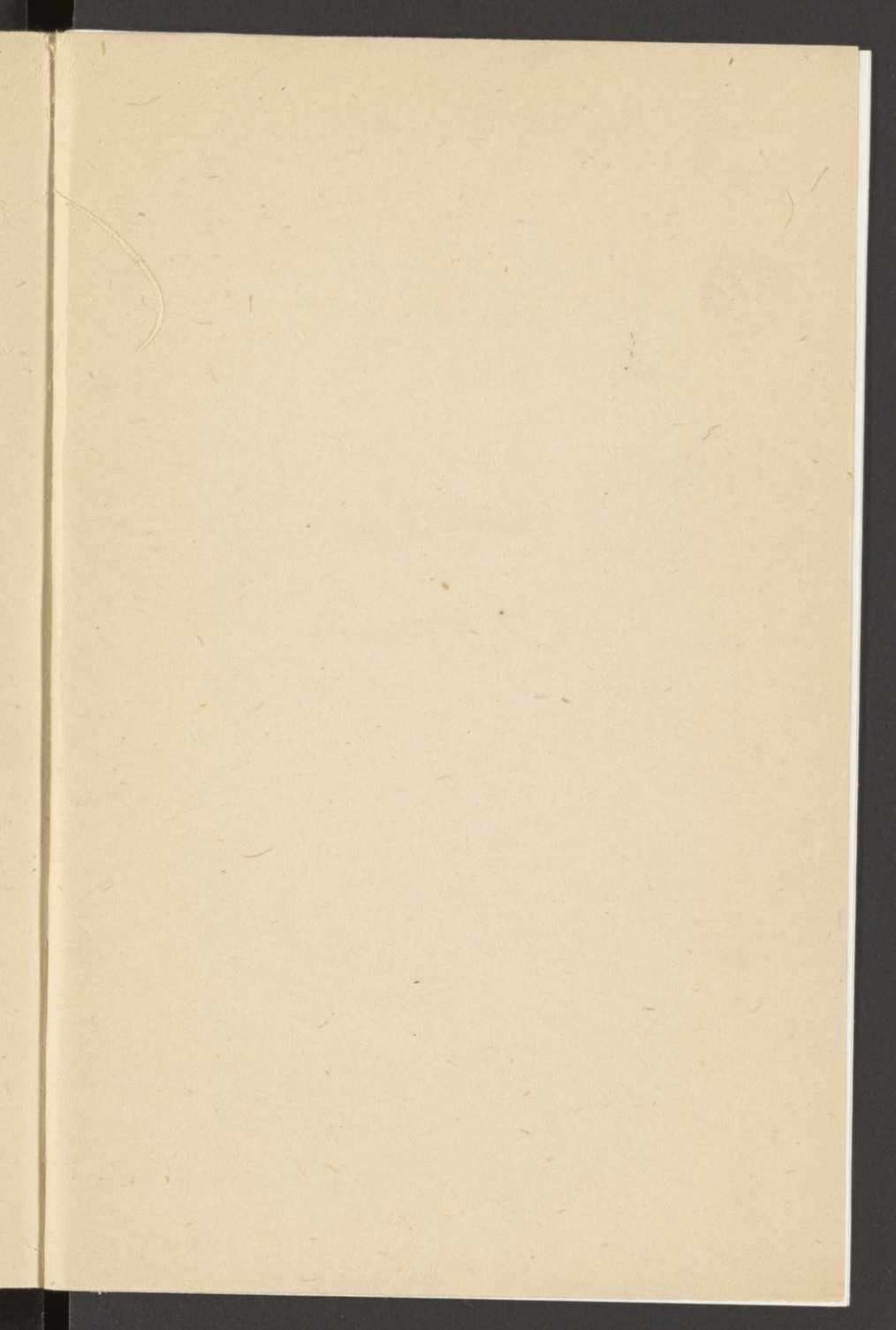
PHONE/WEB RENEWAL DATE



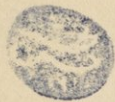








الى ٤٠٠٠ ٤٠٠٠ ٤٠٠٠
مع انظار الحيات



أوديب
تيسيرس

كتاب آخر لأندرية جيد
أصدرته دار الكاتب المصري

الباب الضيق (تعريب نزيه الحكيم)
مع مقدمة لأندرية جيد وطه حسين

Gide, André

اندریه چید

Min abṭāl al-aṣāṭir al-yūnāniyyah

من أبطال الأساطير اليونانية

أوديب
تيسروس

ترجمة
طه حنين



داو الكاتب المصرى

الطبعة الأولى . . . أكتوبر ١٩٤٦

Pφ
2613
I 2
G 412
1946
C. I

العنوان الأصلي للكتاب
بالفرنسية

014599487

ANDRE GIDE

OEDIPE

*

THESEE

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري ١٩٤٦

AUG 09 1990

Mon cher André Gide,

Pour vous avoir entendu nous lire «Œdipe» et «Thésée», je sais la particulière tendresse que vous avez pour eux.

C'est pourquoi je leur appris l'arabe, afin qu'ils puissent aux lecteurs de l'Orient dire votre message, qui est confiance, courage, sérénité.

Ils témoigneront aussi de cette grande admiration que j'ai pour vous, et qui, depuis notre rencontre, est devenue une si précieuse amitié.

TAHA HUSSEIN

Le Caire, le 7 Octobre 1946.

صديق أندريه جيد

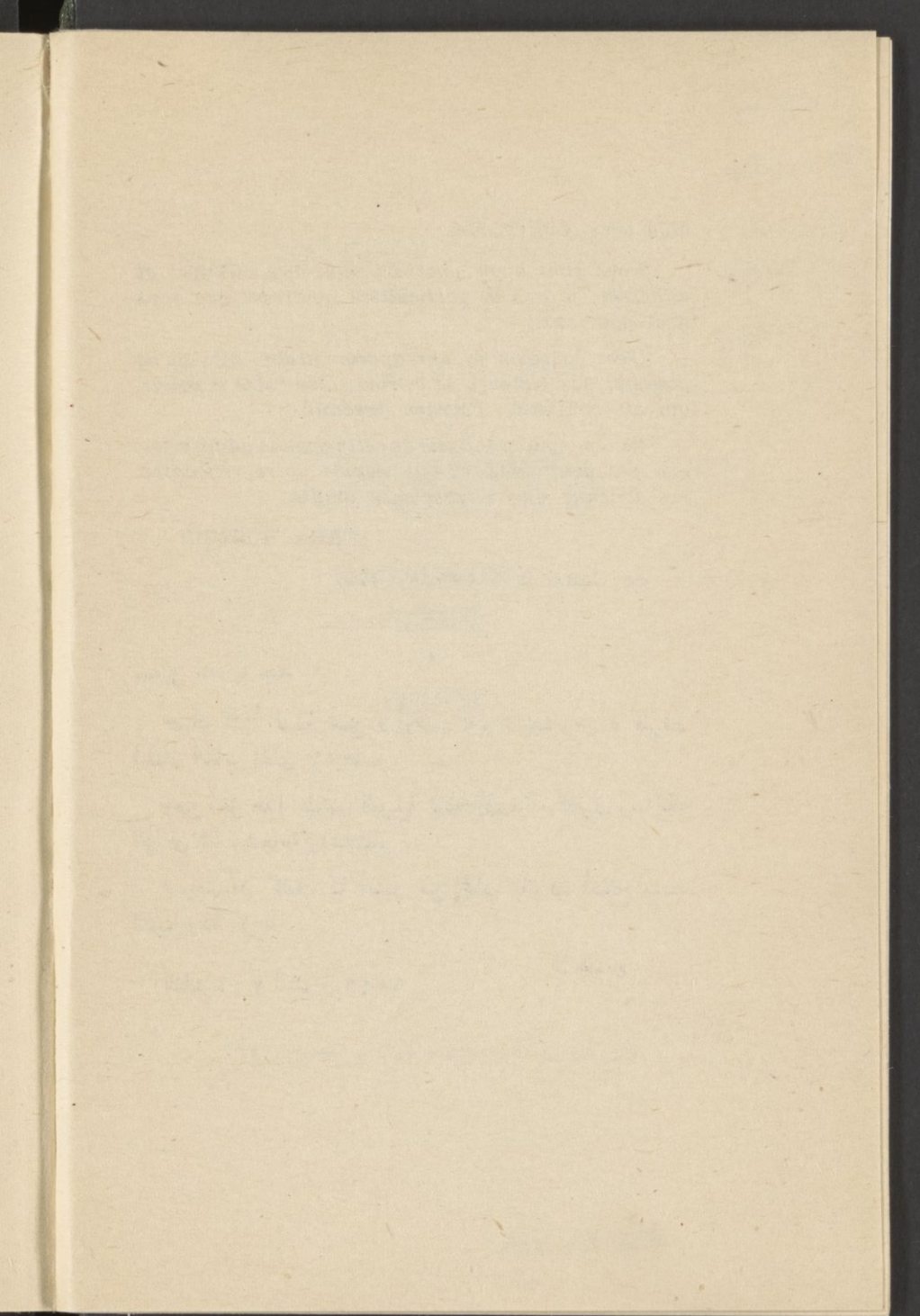
سمعتك تقرأ لنا قصتي «أوديب» و «ثيسوس» فعرفت
الحنان الخاص الذي تؤثرهما به .

ومن أجل هذا علمتهما العربية ليلتفنا إلى قراء الشرق رسالتك
التي هي ثقة وشجاعة واستبشار .

وسيشهدان كذلك بما أضمر من إعجاب بك قد أصبح منذ
التقينا ودأ كريماً .

طه حسين

القاهرة ، ٧ أكتوبر ١٩٤٦



مقدمة

١

كان لا يوس Laïus منذ ارتقى إلى عرش ثيبا Thèbes
بجيا حياة سعيدة راضية مع زوجه جوكاست Jocaste .
ولم يكن يكدر صفو هذه السعادة إلا شيء واحد وهو
أن الزوجين لم يرزقا الولد . فخطر للملك أن يستشير أبولون
Apollon في محنته هذه لعله أن يجد له منها مخرجاً ،
وأن يتم عليه نعمة الملك السعيد المجيد الذي لا يقتصر
على شخص صاحب العرش ، وإنما ينتقل منه إلى ذريته
التي تتوارثه أجيالها إلى آخر الدهر . فلم يكن لا يوس

قصير الأمل ، ولا محدود الأمد . لم يكن يريد أن يملك
ليس غير ، وإنما كان يريد أن ينشئ أسرة مالكة .
ولكن أبولون لم يكن سمحاً ، ولا موافقاً ، فأظهر للملك
في شيء من الإلغاز ما خبأه له القضاء . أعلن إليه أنه
إن رزق الولد فسيقتله ابنه . وقد عاد لا يوس من معبد
أبولون مهموماً ، شديد الحزن ، موزع النفس بين الحرص
على الحياة والرغبة في الولد الذي يرث الملك ، ويخلد الذكر .
وقد شك طويلاً أو قصيراً بين هاتين العاطفتين ، ولكنه
آثر الحياة آخر الأمر على الولد ، فرضى العُقْم بل رغب
فيه وحرص عليه . غير أن القضاء ماض إلى غايته دائماً ،
فماهى إلا أن يرزق لا يوس من زوجه چوكاست هذا الغلام
الذي أنذره أبولون بأنه سيذيقه الموت . هنالك استأثر
الحرص على الحياة بنفس الملك ، فأزمع أن يقتل ابنه قبل
أن يقتله هذا الابن ، وأسلم الطفل إلى راع من رعاته ، وكلّفه

أن يلقيه على الجبل نهباً للسياح . ولكن الراعى لم يكن قاسى القلب ولا غليظ الطبع ، فلم يلق الطفل على الجبل ولم يقتله ، وإنما أسلمه إلى راع آخر ملك كورنت Corinthه فى بعض الروايات ، أو علقه إلى شجرة من أشجار الجبل من رجليه اللتين شقهما ، وجمع بينهما بحبل متين . ومهما يكن من اختلاف الروايات ، فإن الصبي لم يمت نهباً للسياح ، ولا نهباً للجوع والبرد والجراح ، وإنما تلقاه راعى كورنت فعطف عليه ورفق به . وكان ملك كورنت بوليبي Polybe شقيقاً بعتم امرأته ميروب Mérope ، فيدفع الراعى إليه هذا الصبي ويتبناه الملك وينشئه تنشئة أبناء الملوك . وقد شب الصبي قوى الجسم والنفس جميعاً ، ماضى العزم ، صارم الإرادة ، معتدداً بنفسه ، جاهلاً لأصله ، بعيد الأمل مع هذا كله عظيم الأطلاع . ولكنه يرى من لداته وأترابه ما يريبه ، فهم يدهحون له بأنه ليس ابن الملك . وهو يضيق

بهذه الريبة ويريد أن يعرف جلية أمره ، فيذهب إلى معبد
 أبولون ليتبين حقيقة الأمر في وحي الإله . والقضاء صارم
 حازم قاس لا يعرف رفقاً ولا ليناً ، وإذا أبولون لا ينبيء
 الفتى بأصله ، ولا يزيل من نفسه الريبة ، وإنما يضيف
 شكاً إن شك وخوفاً إلى خوف ، فينبيء الفتى بأنه سيقتل
 أباه ، وسيتزوج من أمه ، وسيقترب هاتين الخطيئتين
 المنكرتين .

وكان لايوس قد أراد أن يقاوم القضاء فيخاص من
 هذا الصبي الذي سيذيقه الموت ، فانتصر القضاء على إرادة
 لايوس ، وعاش الصبي ونما حتى أصبح قادراً على اصطناع
 السلاح . وهذا الفتى ينبئه أبولون بأنه سيقتل أباه ويقترن
 بأمه ، فيريد أن يقاوم القضاء ، وهو لا يعرف لنفسه أباً
 غير بوليب ملك كورنت ، ولا أمّاً غير ميروب ملكتها .
 فليجتنب إذن كورنت ، وليأخذ طريقه إلى أي بلد آخر

بعيد عن هذه المدينة حتى لا يُفْرَمَى بقتل أبيه أو اتخاذ
 أمه لنفسه زوجاً . وإنه لفي بعض الطريق عند مكان شديد
 الضيق ، وإذا عربة تعترضه وتأخذ عليه سبيله ، فيكون
 الخصام باللسان ، ثم يكون الاقتتال ، وإذا الفتى يقتل
 صاحب العربة ، وقد تفرق من كان معه من خدم وأنصار .
 ويمضى الفتى لوجهه راضياً عن نفسه ، مطمئناً لحسن بلائه ،
 غير مقدر أنه قد أنفذ بعض ما كتب القضاء عليه ، فقتل
 أباه ، واقترب أحد الإثمين اللذين أنذره بهما أبولون .
 وهو يمضي في طريقه حتى يدنو من مدينة ثيبا ، فيسمع
 بأن المدينة مزوعة بخطر داهم ونكر مبین . فهذا كائن غريب
 قد هبط عليها من السماء أو نجم لها من الأرض ، جاءها من
 حيث لا تعلم على كل حال ، واستقر غير بعيد من المدينة
 على صخرة مرتفعة يرصد من يمر به من الناس ، فيأتى عليهم
 لغزه الغريب : ما كائن له صوت واحد ، يمشی على أربع إذا

أصبح ، وعلى اثنتين إذا زالت الشمس ، وعلى ثلاث إذا أقبل
المساء ؟ وهذا الكائن الغريب الذي اتخذ جسم الأسد ،
ورأس المرأة ، ووصل بجسمه جناحين ، والذي يسميه
اليونان سفنكس Sphinx ، ويسميه المصريون القدماء
بو الهول ، أو أبا الهول ، لا يعنى أحداً من الإجابة على
هذا السؤال وحل هذا اللغز . والناس جميعاً يعجزون عن
الإجابة ولا يجدون حلاً لهذا اللغز ، وهو يعاقبهم بالموت
على هذا العجز والإخفاق . وقد عظم الكرب ، وعم
البلاء ، وامتلات قلوب أهل المدينة خوفاً ورعباً ، حتى
اضطر كريون Créon أخو الملكة چوكاست والناهض
بأعباء الملك بعد قتل لايوس أن يذيع في أقطار الأرض
أن من أراح المدينة من هذه المحنة فله تاجها وله
الملكة زوجا .

وقد سمع الفتى بآباء هذا الكائن الخطر ، وبهذا الوعد

الرائع الذي يبذل لمن ينقذ منه هذه المدينة البائسة ، وهو قوى الجسم والنفس ، ذكى القلب ، حديد الفؤاد ، بعيد الأمل ، شديد الطموح ، فيقبل على أبي الهول يجرب ذكائه وقوته ، ويغامر بحياته في سبيل المجد والملك . وأبو الهول يلتقى عليه السؤال فيجيبه الفتى بأن الإنسان هو الذي يمشى على أربع إذا أصبح لأنه يحبو في الطفولة ، ويمشى على اثنتين إذا انتصف النهار لأن قامته تعادل وتستقيم إذا شب ، ويمشى على ثلاث إذا أقبل المساء لأنه ينحنى على العصا إذا أدركته الشيخوخة ، وقد الحّم أبو الهول وألقى بنفسه من أعلى الصخرة فمات . وظفر الفتى بعرش ثيبا ، واتخذ الملكة له زوجا ، واطمأن إلى أنه قد أفلت مما تنبأ له به وحى أبولون ، فلم يقتل أباه ، وأين هو من عابر السبيل ذاك الذي قتله ! ولم يقترن بأمه ، وأين هو من ملكة ثيبا هذه التي تزوج منها ! لقد ترك

أبويه في كورنت وأسس لنفسه ملكاً جديداً ، وقد رضى
 عن رعيته ورضيت عنه رعيته ورزق الولد . فله ابنتان
 إتيوكل Etéocle وپولينيس Polynice ، وله ابنتان
 أنتيجون Antigone وإسمين Ismène . وهو يرى نفسه
 سعيداً موفوراً راضى النفس رضى البال . ولكن
 المدينة تُمْتَحَن ذات عام بوباء يفسد عليها أمرها كله
 فساداً عظيماً ؛ فقد هلك الزرع وجف الضرع وأسرف
 الموت في كل حي ؛ فالظير تساقط من السماء ؛ والماشية
 تخر إلى جنوبها ، والناس يستبقون إلى القبور حتى تضيق
 بهم وحتى يعجز بعضهم عن دفن بعض ، وقد عم البلاء
 وعظم الكرب واشتدت المحنة حتى بلغت أقصاها . وأهل
 المدينة يستعطفون الآلهة بالضحايا والقرايين ويتوسلون
 إليهم بالصلاة والدعاء ، فلا يغنى عنهم هذا كله شيئاً . وهم
 قد هرعوا إلى ملكهم يفتزعون إليه ويستعينونه ، فيرسل

٩
 الملك إلى معبد أبولون من يؤامر الإله ويستشيرَه في هذا
 البلاء العظيم . ويعود رسول الملك إليه يحمل جواب
 الإله واضحاً غامضاً ومُعَمَّى صريحاً ، كما تعود أبولون
 أن يجيب دائماً . أجب أبولون بأن الآلهة لن يكشفوا
 الضر عن هذه المدينة إلا إذا ثارت للايوس
 من قاتله .

ولم يكد الملك يتلقى هذا الجواب حتى أعلن في حزم
 وصرامة أنه باحث عن هذا القاتل ومترل به أشد العقاب ،
 وأنه يطلب إلى أهل المدينة أن يعاونوه على ذلك في غير تردد
 ولا ضعف مهما يكن هذا القاتل . ثم هو لا يكتفى بذلك
 بل يستنزل اللعنات وغضب الآلهة على هذا المجرم الذي قتل
 ملكاً وعرض المدينة لشر عظيم . ولكن الملك لا يكاد
 يبحث عن هذا المجرم حتى تتبين له الحقيقة منكرة بشعة ،
 فهو المجرم الذي قتل لايوس هناك في ذلك المكان الضيق .

وهو الآثم الذى اتخذ أمه له زوجا وعاش معها فى هذا القصر وأولدها أبناءه الأربعة .

ليس فى ذلك شك ، واسمه نفسه يدل على ذلك دلالة قاطعة ، فهو أوديب *Oedipe* ذو الرجل المتورمة ، ورجله متورمة حقاً من أثر ذلك الثقب الذى علق به إلى الشجرة فى طفولته الأولى على الجبل . يعرف ذلك من الراعى الذى كُلف قتله ، ويعرف ذلك من الراعى الذى أنقذه من الموت وأسلمه إلى ملك كورنت . هنالك يتبين أوديب وتتبين چوكاست أن لا مردّ لما كتب القضاء . فلم يغن عن لايوس تخلصه من الصبي ، فقد عاش الصبي حتى قتله . ولم يغن عن چوكاست تخلصها من الصبي فقد عاش الصبي حتى اقترن بها . ولم يغن عن أوديب فراره من قصر كورنت وتجنبه ملكها وملكتها هرباً من الآثم ، فلم يكن من هذين الزوجين فى شيء . وإنما هو ابن لايوس وقد قتل

لايوس ، وابن چوكاست وقد تزوج من چوكاست . والمهم
 أنه قد عرف القاتل الذي يجب أن يثار منه لتخلص المدينة
 من هذا البلاء ، فيجب أن يثار من نفسه إذن ، فإن لم
 يفعل فستثار منه المدينة التي لم تكن ترى فيه ملكا
 فحسب ، وإنما كانت ترى فيه شيئاً يشبه الإله .

فأما چوكاست فلم تكذب تظهر على الحقيقة البشعة حتى
 خنقت نفسها . وأما أوديب ففقا عينيه بيديه حتى
 لا يرى الضوء .

وتختلف الروايات بعد ذلك أو قل تختلف الروايات
 قبل ذلك ، ويزيد في اختلافها فن شعراء الممثلين الذين
 اتخذوا هذه القصة موضوعاً للتمثيل ؛ فقوم يرون أن
 چوكاست لم تقتل نفسها ، وإنما عاشت حتى رأت اختلاف
 ابنها على العرش وتساقبها الموت ، ولم تقتل نفسها إلا
 بعد أن رأتها صريعين . وقوم يرون أن أوديب قد نفي

نفسه من الأرض بعد أن فقا عينيه وهام غريباً تقوده
ابنته أنتيجون حتى انتهى آخر الأمر إلى ضاحية من
ضواحي أثينا مات فيها. وآخرون يرون أنه لم ينف نفسه ،
وإنما تفاه ابنه بعد أن وليا الملك . وآخرون يرون أن
ابنيه قد أمسكاه في القصر ولم ينفياه ، وإنما تفاه كريون
بعد أن مات ابنه ، فلجأ إلى الضاحية الأثينية ومات فيها .
هذه هي القصة التي روتها الأساطير اليونانية منذ أبعده
العصور ؛ فقد تحدثت بها الأوديسة *L'Odyssée* في
نشيدها الحادي عشر ، كما تحدثت بها أقاصيص ثيبا نفسها
بعد ذلك .

٢

والشعراء الممثلون من اليونان يعتمدون في تمثيلهم
بحكم الفن نفسه وبحكم الدين أيضاً على الأساطير . فالأبطال

القدماء هم موضوع المأساة اليونانية التي تصور حياتهم أو تصور ما تمتاز به حياتهم من المحن والخطوب . وتصوير هذه المحن التي أملت بالأبطال وعرضها على النظارة في ملاعب التمثيل شيء كان الأثينيون يرونه فنًا ويرونه دينًا . فيه الجمال الأدبي الذي يعظ النفس ويذكي القلب ويثير العاطفة وينمي الفضيلة ويرفع الإنسان عن صغائر الحياة إلى جلائل الأمور ، وفيه تقديس الآلهة وتمجيد الأبطال والإشادة بالقديم وما فيه من ما أثر كتب لها الخلود . وقد كان اليونان قبل أن ينشأ فن التمثيل وقبل أن ينشأ فن الغناء نفسه يتقربون إلى آلهتهم بإنشاد الشعر القصصي والاستماع له . ثم نشأ الغناء فتقربوا به إلى الآلهة ، يتغنون حياة الأبطال وحياة الآلهة وما عرض لهم فيها من خير وشر . ثم نشأ فن التمثيل فتقربوا به إلى الآلهة كما كانوا يتقربون بالقصص والغناء . ومن أجل هذا كله تغيرت صور

الفن الشعري عند اليونان ولم يتغير موضوعه . فالأبطال والآلهة هم موضوع القصص في الإلياذة والأوديسة ، وهم الموضوع الأساسى لغناء المغنين ، وهم الموضوع الأساسى لتمثيل الممثلين أيضاً . ومع ذلك فتغير الصورة له خطر العظيم وإن بقي الموضوع ثابتاً مستقراً ، ذلك أن الصورة لم تتغير إلا لأن النفس اليونانية قد تغيرت بحكم ما أحاط بالشعب اليونانى من الظروف . فقد كان القصص اليونانى صورة لحياة الجماعة لا يكاد يظهر فيها من الأفراد إلا شخصية الآلهة والأبطال ، بل لا تظهر فيها شخصية الشاعر نفسه . فلما ارتقت الحضارة وذكت القلوب وقويت شخصية الفرد ، تغيرت صورة الشعر ، فظهر شخص الشاعر أولاً وأصبح الشعر لا يضاف إلى شاعر مجهول يسمى هو ميروس مهما يكن موضوعه ، وإنما يضاف إلى شعراء معروفين يراهم الناس ويتحدثون إليهم

ويتحدثون عنهم ، وأصبح الشعر لا يصور الآلهة والأبطال
الممتازين وحدهم ، وإنما يصور شخصية الشاعر نفسه ،
ويصور معها شخصية كثير من الأفراد ، وما يجدون من
لذة وألم ومن حب وبغض ومن عاطفة وشعور بوجه عام ،
ثم أصبح الشعر لا ينشد إنشاداً يسيراً تسنده بين حين
وحين لغات ساذجة توقع على أداة ساذجة من أدوات
الموسيقا ، وإنما ينشد إنشاداً معقداً يتشكل فيه الصوت
بالأشكال المختلفة التي يقتضيها الغناء ، وتسنده وترج منه
أحياناً أدوات موسيقية كثيرة مختلفة ، ويسنده الرقص
أيضاً بحيث يوشك أن يشبه الأوبرا في عصرنا الحديث
لولا أنه كان يخلو من حركة التمثيل . ثم تتقدم الحضارة ،
ويرق العقل ، وتقوى الشخصية ، وتظفر الشعوب في
المدن بحقوقها السياسية ، فتتغير صورة الشعر . وإذا
الحوادث التي كانت تقص في الشعر القصصي ، وتغنى

في الشعر الغنائي ، قد أصبحت تعرض على النظارة في ملعب التمثيل يجريها الشاعر على أيدي أشخاص يمثلون الأبطال والآلهة أنفسهم . وهذا التمثيل نفسه لا يخلو من الغناء والرقص توقعهما الجوقة وقد يشارك فيهما كليهما أو أحدهما الممثلون . وقد أصبح جمهور النظارة ذا شأن خطير ؛ فهو يشارك في حفلات التمثيل لا بشهود التمثيل فحسب ، ولكن كذلك بالقضاء بين المستبقيين من الشعراء الممثلين . وقد كان الشعراء يشاركون بأنفسهم في التمثيل أول الأمر ، ثم نشأت طائفة الممثلين المحترفين ، وجعل الشعراء يكتفون بإنشاء الشعر وإرشاد الممثلين وأعضاء الجوقة .

كذلك كانت الحال في القرن الخامس قبل المسيح حين عرض الشعراء الثلاثة الممتازون : إيسكولوس Eschyle وسوفوكل Sophocle وأوريبيد Euripide حياة الأبطال

والآلهة فعروضوها في الملاعب على النظارة من الاثينيين .
 وكان من نتيجة هذا كله أن هؤلاء الشعراء وغيرهم
 من الشعراء الممثلين كانوا يرون من الطبيعي والمألوف
 أن يعرضوا للموضوعات التي سبقهم إليها القصاص
 والمغنون ، فينشئوا فيها قصصهم التمثيلي ، بل كان من
 الطبيعي والمألوف أن يعرض المتأخر منهم لما عرض له
 المتقدم ، لا يجدون في ذلك حرجا ، بل يجدون فيه سبيلا
 إلى الإيجادة والإيقان . فقصّة أوديب مثلا قد عرض لها
 إيسكولوس ثم عرض لها بعده سوفوكل ، ثم عرض لها
 بعدها أوريبيد ، ثم عرض لها شعراء آخرون من اليونان
 لم يجد أحد في ذلك حرجا . وهذه السُنّة التي سنها اليونان
 قد انتقلت منهم إلى غيرهم من الأمم ؛ فالرومان في العصر
 القديم حين حاولوا التمثيل اتخذوا أكثر الموضوعات
 لقصصهم من التمثيل اليوناني نفسه . فقصّة أوديب مثلا

عرض لها منهم غير شاعر . وامتازت قصة سينيك Sénèque من هذه القصص التي وضعها الشعراء اللاتينيون . وجرى الأمر على ذلك بعد النهضة الأوربية في العصر الحديث ، فاستعار شعراء التمثيل من الإنجليز والألمان والإيطاليين والفرنسيين خاصة موضوعات شعرهم التمثيلي من تمثيل اليونان والرومان . وقد وضع الشاعر الإنجليزي دريدن Dryden في القرن السابع عشر قصة أوديب ، كما وضع الشاعر الإيطالي ألفييري Alfieri في القرن الثامن عشر قصة أوديب أيضاً . أما الفرنسيون فقد فتن شعراؤهم وكتابهم بقصة أوديب منذ أواخر القرن السادس عشر إلى الآن . ولست أحصى شعراءهم الذين عرضوا لهذه القصة ، وإنما أذكر أن كورني Corneille قد وضع قصة تمثيلية لأوديب فُتِنَ بها معاصروه ، وأن فولتير Voltaire قد وضع في أول القرن الثامن عشر قصة لأوديب كثر حولها الحديث والنقد ،

وأن شاعرين فرنسيين هما دى سيس Ducis وشينيه^(١) M. J. Chénier وضعا قصتين لأوديب في آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر. أما في هذا القرن العشرين فقد عني بأوديب الكاتب الفرنسي العظيم أندريه جيد André Gide في القصة التي نترجمها في هذا السفر، كما عني به الكاتب الشاعر المعروف جان كوكتو Jean Cocteau في قصته المشهورة «أداة الجحيم».

فأنت ترى أن السنّة اليونانية التي أتاحت للشعراء ألا ينفروا مما سبقوا إليه قد أصبحت سنّة أدبية إنسانية شائعة على اختلاف العصور. وأنت ترى كذلك أن قصة أوديب وحدها قد شغلت شعراء كثيرين في الأمم المختلفة على اختلاف العصور، وما زالت تشغل الشعراء والكتاب إلى الآن. وأكبر الظن أنها ستشغلهم دائماً.

(١) هو أخو الشاعر النثائي العظيم أندريه شينيه.

٣

ولا أكاد أذكر من القصص اليونانى القديم الذى مُشغِل
 به المحدثون شيئاً تجاوز القرن السابع عشر والثامن عشر إلا
 قصة « أيجينى فى توريس » *Iphigénie en Tauride* التى
 عنى بها جوت ، وقصصاً قليلة أخرى طفت فى القرن العشرين ،
 أعظمها خطراً قصة « أوديب » هذه وقصة « إلكتر »
Electre و « أمفثريون » *Amphytrion* وقد جددها
 جان جيرودو Jean Giraudoux ، وقصة أنتيجون وقد
 جددها جان كوكتو بين الحربين ثم جددها جان أنوى
 Jean Anouilh فى هذه الأعوام الأخيرة وهناك قصص
 تمثيلية معاصرة جدت أو حاولت أن تجدد بعض
 القصص التمثيلية اليونانى القديم ، ولكنها لم تبلغ الملعب
 أو لم تظفر فيه بنفوز باهر ونجح عظيم .

ولعل المُحدثين المعاصرين يؤثرون أن يشهدوا
 القصص اليوناني يعرض عليهم كما تركه أصحابه مع قليل أو
 كثير من التغيير ، إلا أن يوجد الكاتب الممتاز الذي
 يستطيع أن يدل بالقصة اليونانية على أكثر مما وصل إليه
 الشاعر اليوناني القديم ، أو أن يعرضها في شكل أشد
 ملاءمة لروح العصر الحديث .

وهذا هو الذي فعله جيرودو حين اتخذ أكثر رمزاً
 لا للانتقام وحده كما فعل القدماء بل للعدل أيضاً . للعدل
 الذي يجب أن تبلغه الإنسانية وأن تضحى فيه بكل شيء
 مهما تكن التضحية قاسية ومهما تكن الضحية غالية ،
 والذي لا يحفل بانثلال العروش وانهيار النظم وإزهاق
 النفوس وسفك الدماء وصب الأدمار على المدن ، بل يرى
 في ذلك كله إيذاناً بطلوع فجر جديد . وكما فعل جان بول
 سارتر Jean-Paul Sartre في قصة « الذباب » حين أراد

أن يجدد مأساة إلكتر فجعل آخاها هو البطل . ولم يكتب
 بفكرة الانتقام من الأم التي خانت زوجها وقتلته ، ولا
 بفكرة العدل التي قصد إليها ووقف عندها جيرودو ،
 ولكنه عنى بالحرية الإنسانية التي وقفت أورست موقف
 الثائر على ذوس Zeus المعارض له ، والتي تقف الإنسان
 الحديث موقف الثائر على كل شيء المزدري لكل شيء إلا
 حرية التي تجعله إنسانا يوجد لعمل ما يشاء أن يعمل وليقول
 ما يشاء أن يقول ، غير حافل إلا بنفسه ولا واقف إلا
 عند نفسه .

إلى شيء من هذا التجديد الأساسي الخطير قصد
 أندريه جيد حين وضع قصته التمثيلية « أوديب » مجددا
 هذه القصة كما تركها سوفوكل ، غير واقف عند ما انتهى إليه
 سوفوكل ، ولا حافل بما بلغه كورنى أو فولتير أو غيرهما
 من الشعراء والكتاب المحدثين . وقد يحسن أن نتبين

قبل كل شيء، الإلمام أراد سوفوكل حين وضع قصته هذه التي صور فيها مأساة أوديب؟ وقد أضاعت الأيام ما ترك إيسكولوس وأوريبيد وغيرهما من الشعراء القدماء حول هذا الموضوع بحيث أصبحت قصة سوفوكل هي النموذج القديم الوحيد الذي ألهم المحدثين من الأوربيين. وواضح أن سوفوكل إنما قصد في هذه القصة كما قصد في أكثر قصصه الأخرى إلى ما يصور لنا صرامة القضاء من جهة وحرية الإنسان من جهة أخرى، وإلى أن يلائم بين هذين الضدين المختصمين على نحو ما. فالقضاء صارم قاس بالقياس إلى أوديب وإلى أبويه في هذه القصة، وهو صارم قاس بالقياس إلى أبنائه في قصة أخرى هي قصة أنتيجون. القضاء صارم قاس لأنه قد كتب في غير حكمة بيئة للإنسان على لا يوس أن يموت مقتولا بيد ابنه، وكتب على چوكاست أن تقتل نفسها بعد أن تتورط في إثمها ذلك

البشع الشنيع ، وكتب على أوديب أن يكون قاتلا لآبيه متروجا لآله مسببا لموتها فاقننا عينيه بيده . ومن البين أن أحدا من هؤلاء الأبطال لم يكن حاضرا حين كتب القضاء ما كتب ، ولم يقترف قبل وجوده وإنما يغرى به القضاء ويساط عليه قسوة الأقدار . فهناك إذن علة خفية لا يدركها الإنسان تدفع القضاء إلى أن يدبر أمر الناس والآلهة كما يشاء . ومن يدري ! لعل هذه العلة الخفية لا وجود لها ، ولعل القضاء يمضى كما يريد لا يخضع لقانون ولكنه على كل حال صارم قاس بالقياس إلى الآلهة والناس جميعا . غير أن الإنسان ليس خاضعا خضوعا كاملا شاملا مستسلما لهذا القضاء ، وإنما هو مستمتع بشيء من الحرية قد يكون قليلا وقد يكون ضئيل الأثر وقد لا يكون له اثر ما ، ولكنه موجود على كل حال . وآية ذلك أولاً أن الإنسان يريد أن يعرف ما أضمر له القضاء فيعمل في ذلك

عقله ويستنبي عن ذلك وحى الآلهة ؛ فهو إذن لا يخضع
 لأحكام القضاء غير عالم بها أو غير مفترض لوجودها كما
 يخضع لها الحيوان وكما تخضع لها الكائنات الأخرى التي
 تأتلف منها الطبيعة . وليس قليلا أن يتلقى الإنسان
 ما كتب له من خير وما قضى عليه من شر وهو عالم به
 وعالم بالمصدر الذي يسوقه إليه أو يسلطه عليه .

وهناك آية ثانية على حرية الإنسان أمام القضاء ؛
 فهو لا يطمئن إلى العلم بما كتبت الأقدار عليه ، وإنما
 يحاول أن يخلص مما قضى عليه من الشر . وليس المهم
 أن ينجح أو يخفق في هذه المحاولة وإنما المهم أن يحاول .
 فلايوس وچوكاست يعلمان أن ابنهما سيقتل أباه ويتزوج
 أمه ، فيحاولان التخلص من هذا الشر بقتل الصبي قبل
 أن ينمو ويقترب هذه الآثام ، ولا عليهما بعد ذلك أن
 يفلت الصبي مما دبر له من الموت . وأوديب يعلم بما دبر

القضاء له ، فيفر من قصر الملك في كورنت محاولاً أن يتجنب الإثم ، ولا عليه بعد ذلك أن يقتل لايوس ، فلو قد عرف أنه أبوه لما قتله ، ولا عليه أن يتزوج چوكاست فلو قد عرف أنها أمه لما اقترن بها . وهناك آية أخرى على حرية الإنسان أمام القضاء ، وهي أعظم من هاتين الآيتين خطراً وهي التي يصورها لنا سوفوكل في قصة «أوديب ملكاً» ، ولكنه يصورها تصويراً أعظم روعة وأكثر جلاء في قصته الأخرى «أوديب في كولونا» ، وهي أن الإنسان حين يعجز عن رد القضاء لا يرى نفسه منهزماً ولا يرى نفسه مسئولاً عما تورط فيه من الإثم . فهو يؤمن بأن التبعة يجب أن تكون نتيجة للحرية وأن يكون حظ الإنسان من هذه التبعة ملائماً لحظه من الحرية ، فأوديب تدفعه الغريزة الإنسانية الأولى كما تدفعه التقاليد الموروثة إلى أن يعاقب نفسه حين يستكشف الإثم المروع الذي تورط

فيه ، ولكنه بعد شيء من التفكير يستطيع أن يثبت للقضاء وأن يقف من الآلهة موقف المدافع عن نفسه المحتج لها ، لأنه لم يرد قتل أبيه ، ولم يقتله وهو يعلم أنه أبوه ، ولم يرد الزواج من أمه ولم يتزوج منها وهو يعلم أنها أمه . فإن كان في هذا كله إثم فليس هو المسئول عن هذا الإثم ، وإنما يسأل عنه القضاء الذي دبره والآلهة الذين ضللوا أوديب حتى تورط فيه على كثرة ما حاول تجنبه والتخلص منه . هو إذن بريء أمام نفسه ، ولا عليه أن يراه الناس بريئاً أو أن يتهموه ويحكموا عليه . على أن أوديب لا يكتفى بذلك وإنما يريد أن يقنع القضاء والآلهة أنفسهم ببراءته ، وهو يبلغ من ذلك ما يريد ؛ فقد رضى الآلهة عنه آخر الأمر فأووه إلى هذه الضاحية من ضواحي أثينا ، وألقوا عليه السكينة ، وأشاعوا في نفسه الطمأنينة والأمن ، وجعلوا جثته مصدر بركة للبلد الذي تدفن فيه .

وهم قد عاقبوا مدينة ثيبا فأثاروا فيها الفتنة بين الأخوين الملكيين ، وحرموها هذه البركة المتصلة بشخص أوديب حين قضوا ان يموت غريباً وأن يدفن في بلد غريب .

وإذن فقد اتهمت حرية الإنسان إلى شيء من الفوز . لم تستطع أن تجنب صاحبها المحنة ولا أن تنقذه من الشر في هذه الحياة ، ولكنها قد صفت نفسه وطهرت قلبه واستخلصته من الآثام كما يستخلص المعدن النقي مما يحيط به من الخبث . فليست هذه المحنة إذن إلا تجربة لحرية الإنسان ، ووسيلة إلى تصفية نفسه وتنقية جوهره إن استطاع أن يثبت للآلام وينفذ من الخطوب .

إلى هذا كله أراد سوفوكل حين كتب قصتيه اللتين صور في إحداهما محنة أوديب ملكا ، وفي أخراهما نجاة أوديب منفيًا بأسأ طريداً . ويجب أن نعترف بأن الذين أرادوا أن يقلدوا سوفوكل لم يبلغوا مما أرادوا شيئاً

فا خطر ، لا أستثنى منهم إلا المعاصرين من الكتاب
الفرنسيين .

فالكاتب الشاعر الفيلسوف سينيك لم يصف إلى
ما ابتكر سوفوكل شيئاً ، ولعله أضع منه أشياء .
وإذا كان لقصته شيء من جمال فأكبر الظن أنه إنما
بأتمها من روعة الفصاحة اللاتينية ومن بعض الخواطر
الفلسفية العابرة .

أما كورنى فقد كان مفتوناً بقصته ، ويظهر أن
معاصريه منحوا قصته هذه غير قليل من الرضا والإعجاب ؛
ولكن كورنى فيما أعتقد قد أفسد قصة أوديب إفساداً
عظيماً . رأى أن يلائم بين القصة وبين ذوق البيئة التي
كان يكتب لها ، وقد لاحظ أن تلك البيئة لم تكن تتصور
قصة تمثيلية تخلو من الحب ، ومن الحب الذي يكون له في
المأساة نفسها أثر خطير . وليس في قصة سوفوكل حب أو

شئ يشبه الحب ، فاضطر كورنى إلى أن يحدث حباً ذا
 خطر ، واضطر من أجل ذلك إلى أن ينشئ للايوس بنتا
 تكبر أوديب سنّاً ، وأن ينشئ بين هذه الفتاة وبين
 ثيسوس Thésée ملك أثينا حبّاً ، وأن ينشئ بين هذه
 الفتاة وبين أوديب خصومة حول هذا الحب من جهة
 وحول العرش من جهة أخرى . فلم تكن الفتاة تعرف أن
 أوديب أخوها ، وهى من أجل ذلك كانت تراه غاصباً
 لعرش أبيها . ولم يكن أوديب يعرف أن الفتاة أخته
 فكان يؤثر أن يزوج ملك أثينا من إحدى ابنتيه .
 وكانت چوكاست حائرة بين بناتها الثلاث وبين زوجها .
 والغريب أن كل هذه الخصومات حول الحب والغيرة
 كانت تشغل الملك والملكة والحاشية والقصر كله فى
 نفس الوقت الذى كان الوباء يمصف فيه بالمدينة
 مصفاً شديداً ، ولا نشغل بالقصة نفسها إلا حين توشك

الفصول أن تنتهى ، هنالك تثار العقدة ويعلم الملك ومن حوله أن الآلهة غضاب ، وأن هناك مجرماً يجب أن ينزل به العقاب ، ثم يستبين للملك أنه هو المجرم فلا يفقد صوابه ولا يأخذه الهول ، وإنما يتحدث إلى أخته في حبها لملك أئينا وفي زواجها من هذا الملك ، ثم يعصف الندم بنفسه آخر الأمر حين تموت چوكاست فيفقأ عينيه . وقد لاحظ كورنى كذلك أن البيئة التي كان يكتب لها كانت من الترف ورقة الشعور بحيث كان يسوءها أن يظهر أمامها أوديب دامى الوجه بعد أن فقأ عينيه ، فلم يُظهر الملك أمام النظارة وإنما قص آخرته وآخرة الملكة عليهم في شعر قد يكون جميلاً راعماً ، ولكنه لا يفنى عن الصورة الماثلة أمام النظارة شيئاً .

وقصة كورنى بعد ذلك لا تضيف فكرة جديدة إلى القصة اليونانية . ولست أدري أمن الحق أن تسمى أوديب ،

أم من الحق أن تسمى درسيه Dircée وهو اسم الفتاة التي اخترعها كورنى والتي تدور عليها القصة وعلى حبا أكثر مما تدور على أوديب وعلى محنته. وقد نقد فولتير قصة سوفوكل نقداً مفصلاً مسرف التفصيل. قاسه بمقياس العصر الذى كان يعيش فيه، فأظهر القصة اليونانية منحلة متهالكة لا قوام لها من منطق ولا من دقة، ولا تكاد تظفر بحظ من إتقان. ثم عطف على قصة كورنى، فلم يعفها من النقد اللاذع الشديد. ثم أذاع قصته هو، فإذا هى شر من قصة كورنى، لم تضاف إلى القصة اليونانية جديداً، ولم تظفر من الجمال اللغوى بما ظفرت به قصة كورنى العظيم. ويكفى أن نلاحظ أن فولتير قد وقع فى نفس التخليط الذى وقع فيه كورنى، أراد أن ينشئ حباً فى هذه المأساة؛ لأن البيئة الفرنسية التى كان الأدباء يكتبون لها كانت تريد الحب فى التمثيل. أراد أن

ينشئ حباً إذن ، فلم يجعل للايوس بنتاً كما فعل كوروني ،
ولكنه استكشف لچوكاست عاشقاً قديماً هو فيلوكتيت
Philoctète ، وقد عاد فيلوكتيت إلى ثيبا ليعيش قريباً من
عشيقته ، ولكنه يعلم أن زوجها قد قتل فيستأنف حبه
القديم ثورة جامحة ، إلى آخر هذا العبت الذي لا يزن شيئاً
بالقياس إلى جد الشاعر اليوناني العظيم . على أن من الحق
أن نعتذر عن قولتير ؛ فقد كان في التاسعة عشرة من عمره
حين أنشا هذه القصة . والشئ المحقق أن الشاعرين
الفرنسيين قد عنيا بالبيئة أكثر مما عنيا بالموضوع ، فأرضيا
قوما كانوا يحبون أن يلهوا ، ويكرهون أن يشقوا على
أنفسهم بالتأمل والتفكير فضلاً عن أن يشقوا على أنفسهم
بالنظر إلى المناظر التي تؤذى شعور الغانيات المترفات .
ولأدع ما حاول الشعراء والكتاب بمد قولتير من
تجديد قصة أوديب لأصل إلى هذه المحاولة الأخيرة التي

أقدم عليها أندريه جيد وچان كوكتو بين الحربين . وهما قد أقدما على هذه المحاولة في وقت واحد ، لم يسبق أحدهما صاحبه ، ولم يعلم أحدهما بمحاولة صاحبه إلا بعد أن أظهر كل منهما قصته . والفرق عظيم جداً بين القصتين . فإما چان كوكتو فيسرف في التجديد والابتكار إسرافاً شديداً لا يدعو إليه تعمق الفكرة التي تدور القصة حولها ، وهي فكرة الصراع بين سلطان القضاء وحرية الإنسان ، وإنما يدعو إليه الفن نفسه ، الفن الخالص الذي يروع النظارة ويبههم ويحرص على أن يسحر أعينهم وآذانهم وعقولهم أكثر مما يحرص على أن يدعوهم إلى التأمل والتعمق والتفكير . فچان كوكتو ليس متهاكاً على الجذ ولا ممعناً فيه ، ولعله يبغض التقيد بأصول الفن المقررة ، فأحرى أن يبغض التقيد بقصة الشاعر اليوناني القديم . وهو من أجل ذلك ينتسك بطلاً جديداً هو أوديب ، ويحيطه

بظروف توشك ألا تستبقي من اليونانية إلا الأسماء دون الحقائق ، وهو يعقّد قصته تعقيدا ويخالف فيها بين المناظر والفصول ، لا يتقيد بوحدة في الزمان ولا في المكان ولا في الحركة ، وإنما يكتفي بوحدة الموضوع . فقصته تبدأ منذ قتل لا يوس ، وتنتهي بعد أن يفقأ أوديب عينيه . وإذن فهي تستغرق نحو عشرين سنة . تبدأ القصة حين تعرف المدينة مصرع الملك من جهة وحين يمتحنها أبو الهول بلُغزهِ من جهة أخرى . ونحن نرى في الفصل الأول ظل الملك القتييل يظهر لبعض الجنود يريد أن يرى الملكة والكاهن ليحذرهما من خطر عظيم . ونحن نرى الملكة والكاهن يصعدان إلى حيث كان يظهر ظل الملك القتييل ، فنرى ملكة شابة حلوة الدعابة خفيفة الروح ، خائفة من ظل زوجها ، خائفة من الأحداث التي يمكن أن تلم بها ، محبة مع هذا كله للحياة ولذاتها ، لا تكره أن

تداعب الكاهن الذي يداعبها أيضاً ، ولا تسكره أن
تلاعب الجندي الشاب الذي رأى ظل الملك القتييل ،
وتظهر ميلا شديدا إليه .

ونحن نرى في فصل آخر ما يكون من الصراع بين
أوديب الفتى المغامر وبين أبي الهول . ثم ما يكون من
انتصار الفتى . ونحن نرى في فصل ثالث زفاف چوكاست
إلى الملك الشاب ونشهد أول الشر ، فالكاهن محنق على
أوديب مشفق منه ، وليس كريون أقل منه حنقا ولا
إشفاقاً . ثم نرى نحن آخر الأمر ظهور الحقيقة ومصراع
چوكاست ، ونرى أوديب وقد فقأ عينيه ونفى نفسه من
الأرض وهم أن يخرج من القصر تقوده ابنته أنتيجون ،
وإذا ظل أمه وزوجه چوكاست يظهر ، فيراه أوديب
الضريب ولا يراه المبصرون من حوله ، ويتحدث فيسمعه
أوديب ولا يسمعه الآخرون من حوله ، وإذا چوكاست

تنبئ ابنها بأن الموت قد طهرها من الزوجية الآثمة ولم
يبق لها إلا الأمومة البهية، وهي قد أقبلت لتقود ابنها
إلى منفاه وتعينه على احتمال الغربة.

فالقصة كما ترى رائعة بما فيها من اختلاف المناظر
وبراعة الاختراع وحسن التحدث إلى الحس والشعور.
ويظهر أن هذا كله يرضى الجمهور الضخم من النظارة
الباريسيين. فأما التحدث إلى العقل وأما مواجهة
المشكلات العليا وأما الصراع بين الدين والحرية فأشياء لم
يكن يحفل بها جان كوكتو، ولم يكده يحفل بغيرها
أندريه جيد؛ فأندريه جيد متمتع لسوفوكل في مجرى
قصته لا يخرج عن الخطة التي رسمها الشاعر القديم منذ
خمسة وعشرين قرناً. ولكن أوديب الذي ينشئه
أندريه جيد رجل قد تم نضجه الفلسفي بأرقى معاني هذه
الكلمة في القرن العشرين. يظهر في أول القصة مستجمعا

شخصيته كلها ، مستكملا قوته كلها ، متحديا للناس متحديا
 للآلهة ، لا يؤمن إلا بنفسه ، يعلن إلى النظارة أنه رجل
 سعيد ، قد عمر أربعين سنة وملك عشرين عاماً ،
 واكتسب سعادته اكتساباً لم يرثها عن أحد . ويوشك
 هذا الاعتداد بالنفس أن يدفعه إلى الغرور ، وهو من
 أجل ذلك يخادع نفسه ويزعم لها غير مخاص أن الآلهة
 قد أعانوه ، لا يريد بهذا الخداع إلا أن يتجنب الغرور
 الذي كثيراً ما ورط الناس في الشقاء .

فالفكرة الأساسية في قصة أندريه جيد هي اعتداد
 الإنسان بنفسه وثقته ببحريته واعتماده على قدرته التي
 تمكنه من اقتحام المصاعب وتذليل العقاب . وهذا
 الاعتداد بالنفس يسوء الناس جميعاً ؛ فالجوقة التي تمثل
 الشعب ضيقة بهذا الغرور مشفقة منه على مصير المدينة ،
 ويدفعها إلى الإشفاق والخوف هذا الوباء الذي يصب على

المدينة بلاء عظيماً . وقد أخذ الشعب الذى كان مفتوناً بالملك يتطير به ويهم في أن يكيد له بعض الكيد ليصرف إليه وحده غضب الآلهة من دون المدينة . والكاهن ساخط على الملك لأنه لا يخلص دينه للإله بل لا يؤمن بالإله . وأبناء أوديب قد اختلفت أهواؤهم : فأما الشابان فقد تأثرا بأبيهما ، فهما لا يؤمنان بشيء ولا يرجوان لشيء وقاراً ، ولا يكرهان أن يصبوا إلى أختيهما وأن يتحدثنا إليهما كما يتحدثان فيما بينهما بهذه الصبوة الآثمة . أما أنتيجون وچوكاست فتأثرتان بالكاهن إلى أبعد حد ، حتى إن الفتاة لتوشك أن تهب نفسها للإله . وأما كريون فناعم بالحياة في هذا القصر لا يجب أحداً ولا يكره أحداً ، وإنما يجب نفسه ويجب الحياة ويستمتع بما يتاح له من لذاتها ، ويحافظ على التقاليد ما وسعته المحافظة . وعقدة القصة كلها هي

الاختلاف بين أوديب الذى يعتد بنفسه حتى يبلغ الغرور وحتى يجحد الآلهة ، والكاهن الذى يريد أن يسيطر سلطان الدين وأن يسيطر من طريق هذا السلطان على كل شىء وعلى كل إنسان وعلى نفس الملك خاصة . وليس الوباء الذى ألمَّ بالمدينة وليس البحث عن مصدر هذا الوباء وليست استشارة الآلهة لتعرف هذا المصدر وليس استكشاف المجرم الذى قتل أباه وتزوج أمه — ليس هذا كله إلا مظاهر لهذا الصراع بين حرية الإنسان واعتداده بنفسه حتى يبلغ الغرور ، وبين سلطان الآلهة وتفوقه على غرور الإنسان .

فاذا تبينت الحقيقة وعرف أوديب أن سعادته لم تكن إلا غروراً ، وأن انتصاره على أبى الهول لم يكن إلا سراباً ، وأن ملكه الذى أسسه ونعم به لم يكن إلا امتحاناً — إذا عرف أوديب هذا كله ورأى امرأته وأمّه قد قتلت نفسها

ورأى نفسه قد فقأ عينيه بيديه ، ظن الكاهن تيرسياس
 Tirésias أن الإله قد انتصر على غرور الإنسان ، وأن
 أوديب قد ثاب إلى رشده ، وأذعن لسلطان الدين . وإنما
 أوديب لم يخرج عن كبريائه ، ولم يستسلم للحجنة ، ولم يعترف
 بالهزيمة ، وإنما ثبت للخطب ، بل هو لم يفقأ عينيه إلا تحدياً
 لنفسه وللناس وللألم ، ومحاوله لبناء مجد جديد من طراز
 آخر معنوي غير هذا المجد الزائل الذي كسبه حين قهر
 أبا الهول وأسس الملك . وهو حين ينفي نفسه من الأرض
 لا يفارق المدينة منهزماً ولا مخذولاً ، وإنما يفارقها يائساً .
 لم يقهر اليأس نفسه ، وإنما رفعها فوق الناس وفوق
 أعراض الحياة . وهو ينصرف ساخراً من الشعب الذي
 أحبه ثم كرهه ثم أخذ يتملقه حين عرف أن بركة الآلهة
 متصلة بشخصه ، وينصرف ساخراً من كريون المحافظ
 الذي يرى الملك كل شيء ، وينصرف ساخراً من ابنه

الذين لا يفكران في الحياة إلا على أنها وسيلة إلى المتاع ،
وينصرف ساخرآ من الكاهن الذي يعظه ويريد أن يحمله
على الندم ؛ فهو لا يرى أنه قد فعل شيئاً يمكن أن
يندم عليه .

هذه هي القصة التي وضعها أندريه جيد ، وهي كما ترى
قريبة جداً من القصة اليونانية في موضوعها وفي غايتها ،
بعيدة جداً من القصة في صورتها من ناحية وإن
احتفظت بالجوقة وفي إتقانها للتفكير وتجنبها للتكلف
الشعري الغنائى الذي قد يروق ويعجب ، ولكنه لا يفي
عن التفكير العقلي شيئاً .

ولست أدري أخطئ أنا أم مصيب ، ولكنى أعتقد
أن هاتين القصتين : قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد
هما وحدهما اللتان تشهدان بأن محنة أوديب خليفة حقاً
بأن تكون موضوعاً للتفكير الذى يغزو العقل ، والنقن

الذى يغذو القلب ، وبأن تكون من اجل ذلك صالحة
لتفكير الفلاسفة وابتكار الأدباء على مر العصور
واختلاف الأجيال .

وقد يكون مما تمتاز به قصة أندريه جيد من القصص
الأخرى التى حاولت تجديد القصة اليونانية أنها لم تقف
عند قصة أوديب ملكا ولكنها أملت من قريب جداً
بالقصة الثانية التى وضعها سوفوكل وهى قصة أوديب
فى كولونا .

وكان إلمامها بهذه القصة رائعاً حقاً ، لا أكاد أعرف
شيئاً يشبهه فى جمال الإيجاز ودقته وكفايته بحيث
يستطيع قارئ هذه القصة أن يستوعب أمر أوديب كله
فى غير مشقة ولا جهد .

فقصة أوديب ملكا تنتهى حين تموت چوكاست ويعاقب
أوديب نفسه ويدفن أنه سيهاجر من وطنه . وقد رضى

كريون عن هذه الهجرة ، وابتهج بها الشعب ، وسكت عنها اننا أوديب الطامعان في الملك اللذان اتفقا قبل أن يمتحن أبوها على أن يكون الملك دولةً بينهما ، وأزمنت أنتيجون أن تصحب أباهما في منفاه ، وقررت إسمين أن تلحق بهما بعد قليل . ولكن الكاهن يعلن فجأة أن الآلهة قد أوحوا إليه انهم يصلون البركة بشخص أوديب ويكتبونها للأرض التي يدفن فيها بعد موته ، وإذا كل شيء يتغير إلا رأى أوديب ، فكريون يطلب إليه البقاء ملحقاً في طلبه ، والشعب يطلب إليه البقاء متملقاً مترضياً ، ولكن أوديب يسخر من إلحاح كريون وتملق الشعب وتوسل الكاهن ، ويمضى إلى منفاه ساخراً من هؤلاء جميعاً .

وفي هذا الحوار القصير اليسير يوجز أندريه جيد خير ما في القصة اليونانية الثانية بحيث يخرج القارئ من قصة

أندريه جيد وقد عرف من أمر أوديب كل شيء : عرف
بدء القصة وخاتمها ، وعرف مكر الآلهة وغرور أوديب ،
وعرف المحنة والمقاومة ، ثم عرف عفو الآلهة وانتصار
الإنسان .

٤

والظاهر أن أندريه جيد قد فكر في قصة أوديب
قبل أن يحاول إنشاءها بوقت طويل ؛ فهو معنى بأساطير
اليونان يطيل التفكير فيها والحديث عنها ، ويلفته إليها
بنوع خاص أنها مهما تكثرت فيها الأعاجيب وخوارق
العادات ومخالفة المؤلف من قوانين الطبيعة تذهب دائماً إلى
شيء من المنطق يردّها إلى العقل ، وإلى ما يحمل العقل على
التروية والتفكير فيما يفسر حياة الإنسان أو يتصل
بمصيره أو بموقفه من القضاء .

نراه يكتب في ذلك بعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى

سنة ١٩١٩ .

ثم نراه ينشئ قصة أوديب نحو سنة ١٩٣٠ ، فإذا كانت الحرب العالمية الثانية وهاجر إلى إفريقيا الشمالية نراه ينشئ قصته الثانية التي تترجمها مع قصة « أوديب » وهي قصة « ثيسوس » . وهو ينبئنا في إهداء هذه القصة بأنه كان يفكر في كتابتها منذ زمن طويل . والواقع أنه يتحدث عن ثيسوس وأسطورته في مقاله الذي أشرت إليه آنفاً والذي كتب سنة ١٩١٩ ، فهو إذن يفكر في هذه القصة الثانية قبل أن يكتبها بأكثر من عشرين سنة . والتفكير في هذا البطل الأثيني لا يستقيم عند أندريه جيد كما أنه لا يستقيم عند سوفوكل دون التفكير في أوديب . وحسبك أن تذكر أن أمر أوديب قد انتهى في القصة الثانية

من قصتي سوفوكل بالتجاء البطل الممتحن إلى أتينا
 والتماسه الأيمن والجوار عند الملك الأثيني ؛ فقد كان
 الشاعر اليوناني إذن يقرن أحد البطلين إلى صاحبه .
 وكذلك صنع أندريه جيد ، فسترى في آخر قصة ثيسوس
 حديثاً بين البطلين حين التقيا يدور كله حول مصيرهما .
 والواقع أن هذين المصيرين يختلفان أشد الاختلاف ،
 ولكن كلا منهما يدعو على ذلك إلى التفكير في الآخر .
 فقد أتيح الفوز للبطل الأثيني منذ نشأته الأولى ،
 وأتيح له على نحو متصل حتى كانت حياته كلها فوزاً لم
 يعرف فيها الشقاء إلا قليلاً ، على حين بدأت حياة أوديب
 شقية مملوءة بالحزن ، ولم يكن ما أتيح له من السعادة
 إلا غروراً .

على أن آخره الرجلين تختلف أشد الاختلاف : فأمّا
 أعظمهما حظاً من الشقاء وهو أوديب ، فقد مات راضياً

عن نفسه وعن الآلهة ، مطمئناً إلى هذه السكينة التي
 أنزلت على قلبه . وأما أعظمهما حظاً من السعادة وهو
 ثيسوس فقد أنفق آخر أيامه منفيًا طريداً ، نفته الثورة
 عن وطنه ، ولم يجد عند الملك الذي استجار به مثل ما
 وجد عنده أوديب من الثقة والأمن ، وإنما وجد عنده
 المكر والغدر والموت . فلاغرابة إذن في أن يفكر أندريه
 جيد كما فكر سوفوكل في الرجلين معاً . ولاغرابة إذن
 في أن نجتمع ترجمة القصتين في سفر واحد ، وإن لم يفعل
 ذلك أندريه جيد ؛ لأنه قد أنفق أكثر من عشر سنين
 بين إنشائه لهاتين القصتين .

على أني حين تحدثت إليه في الجمع بينهما في سفر واحد
 رضى عن ذلك كل الرضا . وقد عرفت منه في باريس أنه
 أشار على مترجه الأمريكى بأن يصنع نفس هذا الصنيع ؛
 لأن القصتين تصدران عن تفكير واحد وعن مؤلف

واحد أمام مشكلات الحياة . ومع ذلك فبين القصتين اختلاف عظيم في الصورة الفنية : إحداهما تمثيلية كتبت للمسرح ، على حين أن الثانية نوع من المذكرات يقص فيها البطل الأثيني علينا حياته التي ملأها المغامرة في ألوان من الدعابة الحلوة أحياناً والجد المر أحياناً أخرى .

ولا يشك قارئ القصتين في أن أولاهما قد كتبت حين كان أندريه جيد قوياً سعيداً موفوراً مستكماً شخصيته كأحسن ما يستكمل الكاتب شخصيته . كان في الستين من عمره ، أو لم يكن قد جاوز الستين إلا قليلاً ، كان سعيداً بين أهله وأصدقائه ، راضياً عن نفسه وراضياً حتى عن مكر الناس به وكيدهم له وانتقاص بعضهم عليه . أما القصة الثانية فقد كتبها بعد أن جاوز السبعين ، بعد أن فقد زوجه وكثيراً من أصدقائه ، وبعد أن خضع لألوان من

الأزمات النفسية ، وبعد أن ذاق وطنه الهزيمة ، وذاتها هو أشد ما يكون ذوقها مرارة ، وكتبها منفيًا عن وطنه لا يعرف متى يعود إليه ، بل لا يعرف أيتاح له أن يعود إليه . فهو مجاهد معاند متجدد للأحداث والخطوب حين يكتب قصة « أوديب » ، وهو هادي مطمئن حزين باسم مع ذلك للأحداث والخطوب ساخر منها ، مؤمن بنفسه واثق بوطنه ذائق حلوة الصداقة حين يكتب قصة « ثيسوس » .

ولذلك نرى أوديب يفرض نفسه على الأيام ويتحدى الآلهة ويعاند القضاء ، ويخرج من المحنة ظافراً يريد أن ينسى الماضي وألا يفكر إلا في المستقبل ، ونرى ثيسوس قانعاً راضياً مطمئناً لا يفكر إلا في الماضي يستحضر منه اليسير والخطير ، ويجسد اللذة في استحضار ما يستحضر يتحدث به إلينا أو إلى نفسه ، مستمتعاً بهذا الحديث قبل

أن نستمتع به نحن ، لا يفكر في المستقبل ولا يريد أن يفكر فيه ، فهو لا ينتظر مستقبلا لأن حياته قد أشرفت على غايتها . وأنت تجد هذا الحزن المطمئن في الأسطر الأولى من القصة حين ينبئك بأنه كان يريد أن يقص حياته ليجد فيها ابنه موعظة وعبرة وتعلما ، ولكن ابنه قد مات ، وهو يقص حياته مع ذلك ، لمن يقصها ؟ لنفسه أولاً ، ولمن شاء أن يقرأها من الناس بعد ذلك . فهو قد تقدمت به السن ، وسبقه أكثر أصدقائه وأحبائه إلى الموت ، فأصبح عشير نفسه ، لا يستطيع إن أراد أن يسرّئ عنها إلا أن يقص عليها ما كان له في صباه وشبابه وكهولته من الأحداث ، وما مر به من الخطوب وما تعرض له من المغامرات ، يحيا في وقت قصير حياته الطويلة ، ويجدد بالذكري ما اختلف على نفسه من لذة وألم ، ومن أمن وخوف ، ومن أمل ويأس .

وهو ينتهى آخر الأمر بالموازنة بين حياته وحياة
صديقه أوديب ، فيرى بعد التفكير الطويل أنه كان أسعد
من صديقه حياة وأحسن حظاً ؛ لأن أوديب قد انتهى
إلى الزهد فى الحياة والنفور منها والفرع إلى هذا العالم
الداخلى يجد فيه الأمن والرضا على حين لقى هو الحياة كما
عرضت على الأحياء ، ولعب بالأوراق التى أتاحت القضاء
للناس أن يلعبوا بها . يئس أوديب من الناس واستيقن
آخر الأمر أنه لن يجد عندهم خيراً ولن يقدم إليهم خيراً ،
ووثق هو بالناس واستيقن آخر الأمر أن الحياة النافعة
القيمة هى التى لاتنتهى إلى الجذب ، وإنما تنتهى وقد تركت
من ورائها آثاراً يدوم انتفاع الناس بها وذكرم لها
وثنائهم على صاحبها .

وقد امتازت هذه القصة بما سترى فيها من هذه
الدعابة الحلوة والسخرية المهادئة ؛ فالبطل الأثينى يعرف

الناس كما ينبغي أن يعرفوا : يعرف قوتهم ويعرف ضعفهم ،
 ويعرف أن هذه القوة كثيراً ما تقوم على الضعف نفسه .
 قيل له إنه ابن الملك وتحدث الناس بأنه ابن إله البحر ،
 فهو يعتز بهذين النسبين : يعتز بنسبه إلى أبيه لملك أثينا ،
 ويعتز بنسبه إلى الآلهة لملك قلوب الناس ويسحر عقولهم .
 وهو فيما بينه وبين نفسه يكاد يقطع بأنه ليس ابن هذا
 ولا ذلك ، وبأن أباه غير معروف ؛ فقد يحدثنا
 باوتارك بأن كثيراً من هؤلاء الأبطال كانوا يولدون
 لغير أب معروف فينتسبون إلى الآلهة ، ولا ينكر
 الناس من نسبهم شيئاً لحسن بلائهم ولما يحققون من
 عظام الأمور .

ويحدثنا ثيسوس بأنه قتل رجلاً كان يظن به السوء
 وقطع الطريق ، ثم تبين بعد ذلك أنه كان رجلاً خيراً نفاعاً
 للناس ، فكاد يندم على قتله ؛ ولكن الشعب حين عرف

أنه هو قاتله ، لم يتردد في أن يقرر أنه كان مجرماً أثمياً .
وكذلك تدعن الشعوب ملوكها وتسبق إلى التماس المعاذير
لهم حين يخطئون .

وما أكثر ما نرى في هذه القصة أخلاق أندريه جيد
نفسه ، فأبغض شيء إلى ثيسسيوس أن يقيد نفسه بما يمنعه
من العمل ومن التقدم إلى أمام ؛ فهو يحب ولكن
بشرط ألا يسكه الحب عند خلية بعينها ، وهو يصادق
ولكن بشرط ألا تقفه الصداقة عن أن يمضي لما يريد ،
وهو من أجل ذلك يتخاصم من أريان Ariane بعد
أن نجته من اللابيرانت labyrinthe ويؤثر عليها أختها ،
كما أنه لا يحفل بمشورة صديقه بيريتوس Pirithoüs
ولا يقف عند رأيه ، وإنما يمضي لما أراد غير حائل
بفقدان الصديق الذي أوشك أن يموقه عما يرى
فيه خيراً .

كل شيء في هذه القصة يصور حرم الملك على أن يحقق نفسه ويعتمد عليها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ينفع الناس ولكن لا يعنيه أن يرضى الناس عنه أو يسخطوا ، بل هو لا يكره أن ينفعهم على رغبتهم . وإذا كانت قصة أوديب تصور الشخصية القوية المجاهدة المعاندة التي لا تؤمن بشيء كما تؤمن بالحرية ، ولا تحرص على شيء كما تحرص على الحرية ، ولا تعرف الهزيمة ولا تدعز للخطوب ، فقصة ثيسوس تصور الشخصية القوية التي جاهدت وعانقت وانتصرت على الأحداث والخطوب حتى إذا بلغت آخر الشوط نظرت إلى وراء بعد أن لم تكن تنظر إلا إلى أمام ، فرضيت عن نفسها وحمدت بلاءها ، وانتظرت الموت آمنة مطمئنة .

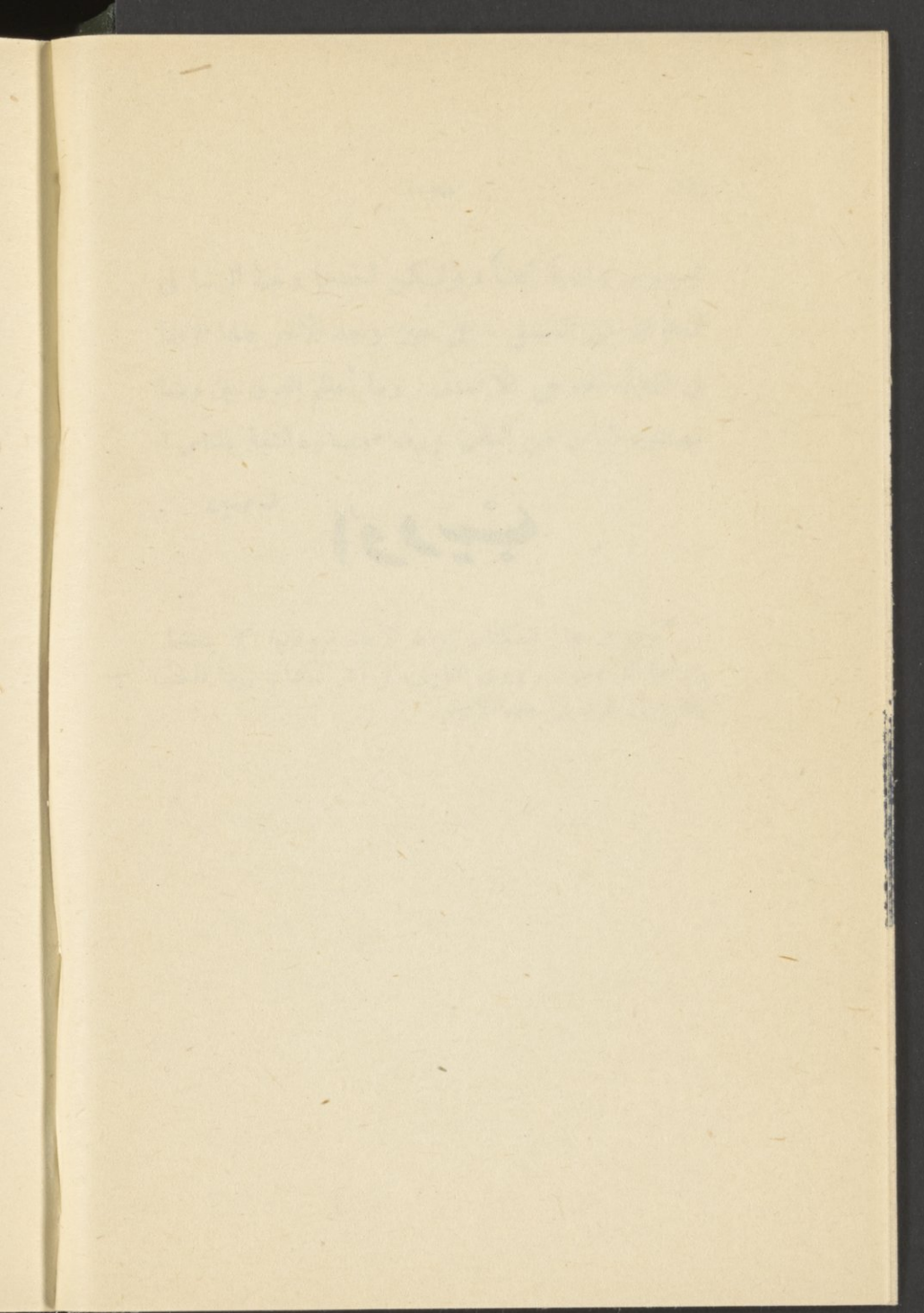
والقصتان تنتهيان إلى غاية واحدة ، ولكنها في الوقت نفسه مختلفة : فقد مات أوديب راضياً ومات

ثيسوس راضياً أيضاً ، ولكن أحدهما وجد الرضا في العالم الداخلى الفلسفى ، على حين وجد الآخر هذا الرضا فى العالم الخارجى الإنسانى . وما أعظم الفرق بين رضى مصدره اليأس من الناس ورضا مصدره الثقة بالناس !

طه حسين

آثرت فى هذا الكتاب إيراد الأسماء اليونانية كما ينطقها ويرسمها الفرنسيون . ويرى القارئ فى آخر الكتاب تبيناً لما قد يحتاج إلى تبيين من هذه الأسماء .

اوديب



الفصل الأول

« لقد مليء العالم بالمعجزات ، ولكن
لا أشد إيجازا من الانسان . »
[سوفوكل من حديث الجوقة في قصة أنتيجون]

أوديب

هانذا أحضر وقد استجمعت شخصيتي كاملة في هذه
اللحظة من لحظات الزمان السرمدي ، أشبه شيء بشخص
يظهر على مقدمة المسرح قائلا :

أنا أوديب ، قد عمرت أربعين سنة ، وملكيت عشرين
 عاما ، وبلغت بقوة ذراعي قمة السعادة . لقد كنت لقيطا
 لا يُعرف له أصل ، ولا يحمل ما يثبت شخصيته ، وأنا
 الآن أسعد الناس بأني لست مدينا بشيء للإنسان . لم
 توهب لي السعادة ، وإنما أخذتها قسراً . وأنا من أجل
 ذلك عرضة للغرور . وقد أردت أن أتجنبه ، فسألت
 نفسي ألم يكن في أمري أثر للقضاء والقدر ؟ أعمد بهذا
 السؤال إلى أن أعصم نفسي من دوار الكبرياء هذا الذي
 تزلّ له أقدام كثير من أبعد القادة صوتا وأعظمهم
 امتيازاً . . . هلمّ ! هلمّ ! يا أوديب ! لا تغامر بنفسك
 في كلام طويل توشك ألا تحسن الخروج منه . قل في يسر
 ما تريد أن تقول ، ولا تشع في ألفاظك هذا الورم الذي
 تحرص على أن تتقيمه في حياتك . كل شيء يسير ، وكل
 شيء يأتي في إبانه . فكن يسيراً وكن صائبا كالسهم .

إمض إلى غايتك في غير عوج ولا التواء ... وهذا يردني إلى ما كنت أقول آنفاً . نعم ! إذا ظننت أحياناً أني صنيعة الآلهة، ومصدر ذلك رغبتى في التواضع والاعتدال ، وفي أن أرد إليهم فضل ما كتب لى من تفوق ، فمن العسير ألا يتعرض مثلى للغرور والكبرياء . وسبيلى إلى القصد أن أزعم أن فوقى قوة مقدسة أخضع لها راضياً أو كارها . ومن ذا الذى لا يُدعن مطمئناً لقوة مقدسة ترقى به إلى حيث بلغت ! إن إلهاً يقودك يا أوديب ، وليس فى الأرض اثنان يشبهانك . بذلك أحدثت نفسى فى أيام الآحاد والأعياد ، فأما فى سائر الأيام فأبى لا أجد الوقت للتفكير فيه . وما أنا وهذا كله ؟ إنى لسيء التفكير ، ليس حسن المنطق من خصائضى ، وإنما أنا أصدر دائماً عن الحسدس . من الناس من يسأل نفسه فى كل فرصة ، وفى كل موطن تزدهم فيه العربات : أيجب أن أتأخر ؟

أمن حتى أن أمضى إلى أمام ؟ أما أنا فأمضى في حياتي كأن
إلهًا يرشدني إلى ما أريد .

الجوقة في مقدمة المسرح وقد انقسمت
تسعين ، أحدهما عن يمين والآخر عن شمال

الجوقة [بقسمها]

نحن الجوقة ، التي كُلفت في هذا المكان أن تمثل
رأى أضخم عدد ممكن من الناس ، نعلن دهشنا وحزننا
أمام هذه الشخصية الممثلة في إيمانها بنفسها . فهذا الشعور
الذي يظهره أوديب لا يقبل من غيره إلا إذا ألقى من
دونه حجاب .

وليس من شك في أن من الخير للإنسان أن يترضى
الآلهة . ولكن أقوم السبل إلى ذلك أن ينجاز إلى رجال
الدين . وإن أوديب ليحسن إذا استشار تيرسياس ،

فهو الذى يمسك إرادة الآلهة . إن أوديب ليظهر العناية بنا وهو يوشك أن يغضب الآلهة علينا ، ولعله أن يكون مصدر هذه الآلام التى تبهظنا الآن [فى صوت خافت] سنشترى رضاهم ببعض الضحايا التى لا يرتفع ثمنها وبعض الصلوات التى يحسن توجيهها ، وسنباعد ما بيننا وبين ملكنا فنحوّل إليه وحده العقاب على هذه الكبرياء التى تستوجب العقاب .

جوقة الميمن [إلى أوديب]

لا يشك أحد فى أنك سعيد وإن كنت تسرف فى إعلان هذه السعادة ، ولكننا نحن لسنا سعداء . نحن شعبك . أى أوديب نحن شعبك لسنا سعداء . وددنا لو نخفى هذا عليك ، ولكن هذه القصة لن تأخذ ديارتها إلا إذا حدثناك بنبأ مروّع . إن الطاعون ، مادام يجب

أن نسميه باسمه ، مازال ماضيا في دفع المدينة إلى الحداد .
وقد عوفيت منه أسرتك إلى الآن ، ولكن من الملائم
ألا يفضى الملك عما يصيب أمته من الرزايا وإن لم يصبه
منها طرف .

جوقة الشمال

على أننا لانكاد نشك في أن بين سعادتك وشقائنا
صلة خفية ، بذلك تلمح لنا احاديث تيرسياس . ومن الخير
أن نتعرف جليلة الأمر فيه . سينبئنا بذلك أبو ثون ،
فأنت قد أرسلت الرجل الكريم كريون صهرك إلى معبد
الابله ، وسيعود إلينا عما قليل بما ننتظر في لهفة من
جواب الوحي .

أوديب

ها هو ذا مقبلا !

بدخل كريون

أوديب [إلى كريون]

وإذن ؟

كريون

أليس من الخير أن تتحدث منفردين ؟

أوديب

لماذا ؟ إنك تعلم أني أزدري الرياء والخواطر
المستورة فستقول إذن كل شيء أمام كل الناس . إلى
ذلك ادعوك ، بل بذلك أمرك . من حق الشعب أن
يعلم كما أعلم أنا كل ما من شأنه أن يدفع عنه الضرر .
على هذا النحو وحده يستطيع أن يعينني على دفع البلاء .
ماذا قال الوحي ؟

كريون

بالضبط هو ما كنت أخاف ، وهو أن في المملكة
شيئاً قد شمله الفساد .

أوديب

قف . ليس محضر الشعب كافياً . يجب أن تُدعى إلى
هذا المكان أختك چوكاست وأبناؤنا الأربعة .

كريون

إسمع لي ، إني أحمد لك دعاء چوكاست ؛ فأنت تعلم
أن شعور الأسرة شديد السلطان على نفسي ، وهي مع ذلك
تستطيع أن تشير علينا فتحسن المشورة . أما الفتية فيخيل
إنيّ أنهم أصغر سنّاً من أن يشاركوا في هذا الحديث .

أوديب

ليست أنتيجون طفلة . أما إتيوكل وپولينيس فهما كما
كنت في سنهما ، ليسا غبيين وفيهما جراءة وإقدام ، فمن
الخير أن ندعوها وأن نشغلها ببعض الهم ، أما إسمين فلن
تفهم شيئاً .
تدخل چوكاست وأبناء أوديب الأربعة

أوديب [إلى چوكاست]

إن أخاك قادم من بيتو^(١) . وقد أردت أن تكونوا
جميعاً حولي ؛ لنسمع جواب الآله . هلمَّ يا كريون ،
تحدث الآن : ماذا قال الوحي ؟

كريون

قال إن الآله لن يحول غضبه عن ثيبا حتى يثأر للأيوس .

أوديب

يشار له من ماذا؟

كريون

ألا تعلم أن الذي تخلفه في سرير أختي جوكاست وعلى
العرش قدم مات مقتولا؟

أوديب

أعلم ذلك، ولكن الم يعاقب المجرم؟

كريون

لم تستطع الشرطة أن تأخذه . بل يجب أن نعرف
بأن البحث عنه لم يتصل .

أوديبي [إلى چوكاست]

لم تنبئني

چوكاست

لقد كنت تقاطعني يا صديقي كلما حاولت أن أتحدث
إليك . وكنت تصيح : كلاً لا تحدثيني عما مضى ، فلست
أريد أن أعلم من أمره شيئاً . لقد بدأنا عصرأ ذهبيا . كل
شيء يتجدد . . .

كريون

وكانت كلمة العدل إذا نطق بها فمك تؤدي معنى العفو .

أوديبي

لو كنت أعرف الخنزير الذي . . .

چوكاست

هوؤن عليك يا صديقي ! هذا تاريخ قديم . لا تمعد إلى
ما مضى .

أوديب

كلاً لن أهوؤن على نفسي ، بل أنا أريد أن أعلم من
ذلك . أقسم بالجحيم لن أنتهى حتى أظفر بالجرم . سألتسه
حيثما يكون وأقسم إنه لن يفوتنى . كم مضى على ذلك
من وقت ؟

چوكاست

كنت أيماً منذ ستة أشهر حين خلفت لايرس ، وقد
مضى على ذلك عشرون عاماً .

أوديب

عشرون عاماً في حياة سميدة . . .

تيرسياس

. . . وهي أمام الإله كيوم واحد .

وقد دخل تيرسياس مع أنتيجون وإسمين دون
أن يلحظ . وهو ضريح قد اتخذ لباس الكهنة

أوديب

يا للآلهة ! إن هذا الرجل لثقيل ! يقحم نفسه دائماً
في أمور الناس . من طلب إليك الحضور ؟

چوكاست [إلى أوديب]

يا صديقي لا ينبغي أن تتحدث على هذا النحو أمام

الصغار . فمن الخطأ أن ننقص من سلطان الرجل الذي
 اتخذناه لهم مربياً وأستاذاً والذي يجب أن يرافقهم دائماً .
 [ملتفتة إلى تيرسياس] . كنت تقول . . .

تيرسياس

لا أريد أن أسوء الملك .

أوديب

لا يسوءنى ما يقال ، بمقدار ما يسوءنى ما تضرره
 النفوس ولا تقوله الألسنة . تكلم .

تيرسياس

سنتحدث منفردين يا أوديب عن سعادتك . . . عما
 تسميه السعادة . أما الآن فالأمر يعنى شقاء الشعب . أى

أوديب إن الشعب يألم ولا يمكن للملك أن يجهل هذا الألم .
 إن الإله ينشئ صلة خفية بين السعادة التي تتاح لقليل من
 الناس والشقاء الذي يُفرض على أكثرهم . إن اسم الإله
 يتردد كثيراً على لسانك يا أوديب . وما ينبغي أن ألومك
 في ذلك ، وإنما ألومك في أنك تتخذ من الإله مُقِرّاً
 لعملك لا قاضياً لك ، وفي أنك لا تضطرب أمامه خوفاً .

أوديب

لم اكن قط ما يسميه الناس هيبابا .

تيرسياس

كلما عظمت شجاعة الإنسان أمام الناس اشتد رضا
 الإله حين يراه خائفاً أمامه مضطرباً من الخوف .

أوديب

لو أنى اضطربت أمام أبى الهول لما استطعت أن
أجيبه ولا أن أصير ملكا .

الجوقتان

أى أوديب ، أى أوديب ! عبثا تحاول . إنك لتعلم أن
أحدأ لا يستطيع أن يستأثر بالكلمة الأخيرة دون
تيرسياس ، وإن كان ملكا .

الجوقة الأولى

لقد قهرت أبا الهول ، ولكن تذكر أنك أبيت فيما
بعد ذلك أن تحفل بزجر الطير .

الجوقة الثانية

ولما كانت هذه تَوْرُقُ نومك ، فقد دفعتنا إلى الإلتم
حين أذنت لنا في صيدها على الرغم من تحريم تيرسياس
لهذا الصيد .

الجوقتان

لقد كنا نتخذ من الطير طعاما شهياً ، ولكننا لم
نلبث أن تبيننا الخطيئة حين رأينا الإله الساخط يسلط
الدود على زراعتنا .

الجوقة الأولى

وإذا كنا قد أخذنا أنفسنا بالصوم في ذلك العام ،
فإنما أردنا التكفير عن خطيئتنا .

الجوقة الثانية

ولأننا لم نكن نجد ما نأكل .

الجوقتان

ولذلك فنحن على إيثارنا طاعتك ننصح لك بالإصغاء
إلى ما يقوله تيريسياس .

أوديب [إلى ابنه]

إن الشعب يؤثر دائماً تفسير ما يعرض له من الأحداث
بالأسرار الغامضة على تفسيرها بأسبابها الطبيعية ، ليس
إلى تغيير هذا من سبيل [إلى تيريسياس] هـلمَّ ! امض
في حديثك .

تيريسياس

تستطيع شرطة الملك أن تبحث عن مجرم ، ولكن
إلى أن تجده أرجو أن تأخذوا جميعاً أنفسكم بالندم ،
فكلكم خاطئٌ أمام الإله ولن نستطيع أن نتصور إنساناً
قد برئ من الخطايا . فليعكف كل منكم على نفسه ،
وليحاسب ضميره ، وليندم على ما قدمت يداه . وفي
أثناء ذلك سنقدم من الضحايا ما يهدى من غضب الإله
الذي يمتحن المدينة بهذا البلاء . لقد جلّ عدد الموتى
عن الإحصاء ، ويستطيع پولينيس الذي كان يسايرني آنفاً
والذي رأى ما لم أكن أرى أن ينبئك بذلك .

پولينيس

أجل يا أبت ! لقد رأينا غير بعيد من القصر جماعة من

المطعونين قد دنسهم البراز والقيء وهم يتلوون من الألم
 ويعين بعضهم بعضا على الموت ، وكان الجو من حولهم
 يضطرب بما يبعثون من حشجة وأنين ، ومن زفرات
 ونظرات . . .

كريون

حسبك ! حسبك ! . . .

إسمين يأخذها الانحاء

أوديب

هذه الصبية يغشى عليها الآن .

إتيوكل [إلى بولينيس]

ما كان لك أن تقص هذا كله أمام أختك .

أوديب [إلى چوكاست]

أرجو أن تخرجني هؤلاء الصبية .

يخرجون ومهم تيرسياس

لينصرف الشعب فإني أريد أن أخلو للتفكير .

يبقى اوديب ومعه كريون

كريون

متناقض كغيرك من الذين يرسلون أنفسهم على
سجايها . ما نفع هذا القسم الذي أقسمته آتفا ؟

أوديب

أي قسم ؟

كريون

أترى؟ لقد أنسيته! ولكن الشعب، ولكن أبناءك
لن ينسوه، وما زال تيرسياس قادراً على أن يذكرّك به.
لقد أقسمت لتتأرن للملك.

أوديب

هذا حق. لماذا لم يحاكم المجرم؟

كريون

لقد طويت القضية.

أوديب

من الذى طواها؟

كريون

أنا الذى طواها أولاً حين كنت وصياً على العرش .
فقد رأيت من الخطأ أن ألقت إليها الشعب وأن ألقى فى
روعه أن الملك يمكن أن يقتل كغيره من الناس .

أوديب

نعم ! ولكنه يعلم ذلك الآن .

كريون

ولم ترد چوكاست أن يجرى التحقيق لأنها رأت فى
كثير من الحكمة أن أول عهدك بالملك لا ينبغى أن
يشيع فيه الظلام .

أوديب

لقد حرصت چوكاست دائماً على أن تحوط سعادتي .
 إنها كاملة ، چوكاست . أيتّ زوج هي أيتّ أمّ هي !
 أما أنا فلم أعرف أيتّ قط وإيني لأحب چوكاست حب
 البنوّة والزوجية معاً . قل لي . أكانت تحب زوجها
 الأول ؟

كريون

أقل مما تحبك من غير شك .

أوديب

قل لي أيضاً . . . ألم يولد لهما الولد ؟

كريون

هذه قصة أخرى . لست أدري أمن حتى أن
أقصها عليك . . .

أوديبي

لم يكن من حقا أن تشير إليها فأما وقد فعلت ، أما
الآن فأريد أن أعلم .

كريون

إذن فهناك القصة : لم يكونا يريدان الولد ، لأن
الوحي . . .

أوديبي

الوحي أيضاً . . . ؟

كريون

... تنبأ بأن لا يوس سيموت مقتولا بيد ابنه .
ولكن في ليلة من ليالى الحب الذى لاحذر فيه ...

أوديب

لقد فهمت عنك . وماذا كان من أمر هذا الطفل
الذى أتجه الهيام ؟

كريون

كان غلاما لم يكد يولد حتى دُفع إلى راع كُلف
هذه المهمة الحزينة ، مهمة إلقائه على الجبل حيث التهمته
الوحوش الضارية .

أوديب

ألا يزال هذا الراعى حيا ؟

كريون

إنك لتسرف على فى السؤال . أتريد نصيحتى ؟ لا تشق
نفسك بهذا . وعش سعيداً .

أوديب

مع هذه الشوكة فى وسادتى أخشى ألا يتاح لى النوم
منذ الآن . على أنك قد سمعت أن الإله يطلب عقاب القاتل .

كريون

أيها العزيز أوديب إن الوحى الذى يسيغه الشعب

لا ينبغي أن يخيفنا نحن الحاكمين . ينبغي أن نتخذ منه
وسيلة لتقوية السلطان ، وأن نؤوله كما نشتهي . لقد أنبأنا
بأن لايوس سيموت مقتولا بيد ابنه ، فقد هلك هذا
الابن ولم يمنع ذلك من قتل لايوس . ولو قد عاش لما
أتيح لك أن ترقى إلى عرشه . فلا تشق نفسك بموته ولا
تكلفها العناء لتعلم كيف مات . إن كان بعض الناس قد
قتله فإنما فعل ذلك من أجلك . لقد هيأ لك الفرصة ، فما
ينبغي لك أن تعاقبه ، وإنما يجب عليك أن تحسن إليه .

أوديب

ولكن ما عسى أن يقول تيرسياس .

كريون

أتخافه ؟

أوديپ

لا أكاد أخافه ، ولكن الشعب يسمع له ، وربما أثار
صوته في نفسى بعض الاضطراب . نعم ! جرس صوته
كأنه يخرج من الجحيم . ها هو ذا مقبلا من جديد . إنه
ليسعى دون أن يسمع خطوه . ماذا تريد يا تيرسياس ؟

دخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديپ إن الملكة تريد أن تتحدث إليك . إنها
تنتظرك في القصر .

أوديپ يعتمد . تيرسياس إلى كرون

إنما أردت أن أخلو إليك ، لقد سمعت كل ما قلتما .

کریون

أكنت تسمع ؟

تیرسیاس

لست في حاجة إلى أن أسمع لأسمع . إني أعرف
ما يجول في النفس قبل أن أسمع صوت المتكلم . أي
کریون لیس من الخیر أن تطمئن أودیوب .

کریون

ماذا تريد أن تقول ؟

تیرسیاس

أريد أن أقول إنه يسرف في الاطمئنان ، وإن نفسه

كالإبناء المطبق لا سبيل إلى أن يبلغها الخوف . وإن
سلطاني كله إنما يأتي من خوف الإله . إن هذه السعادة
المطمئنة آثمة . إن عليك أن تحدث فيها صدعا .

كزيون

لماذا ؟

تيرسياس

من هذا الصدع يصل الإله إلى قلبه . إن پولينيس
وإتيوكل يفلتان مني . إن شعوري بذلك يزداد من يوم
إلى يوم . ستنبئك بذلك چوكاست . إنهما يتأثران أباهما
ويريان ان من الممكن أن يتحررا من هذا السلطان الذي
ينبغي أن يدعن له كل إنسان . إنى لا أتحدث إليك عن
نفسى ، وإنما أتحدث إليك عن الإله الذى أمثله وعن

چوكاست ، وعن أنتيجون هذه الفتاة التقيية ، وعن
الشعب آخر الأمر . عن هذا الشعب المروّع الذى يرى
أن ما يلمّ به من الكوارث إنما هو عقاب له على ما يظهر
ملكه من الإلحاد . ثم كيف تستطيع أنتيجون أن تكبر
أباً ، وكيف تستطيع چوكاست أن تحب زوجا يتحول قلبه
عن الإله الذى توثرانه جميعاً بالإجلال ! وأنت نفسك
يا كريون يجب أن تفهم أن مما ينفع الناس جميعاً أن يذعن
الملك لسلطان قوة قاهرة يستطيعون أن يفرغوا إليها
حتى منه هو .

تدخل چوكاست

چوكاست

إن أوديب شديد الحزن لما قصصت عليه من نبأ . إن
أنتيجون تريد أن تخلص للدين .

كريون

تريد أن تكون كاهنة؟

تيرسياس

ليس في ذلك ما يدهش . إن هذه الفتاة العزيزة تريد
أن تقوّم بذلك ما في فجور أبيها من عوج .

چوكاست

لقد أفضت إلىّ بهذه النية التي يجب أن تظل سرّاً ،
والتي لم يظهر عليها أخواها بعد .

كريون

آه ! يا للفتاة البائسة !

تيرسياس

بألسة لماذا؟ ستجد عند الإله سعادة أوثق من سعادة
أوديبي : نعيما مقدساً قوامه الخضوع لا الكبرياء .

كريون

أقدر كذلك أن شقاء الشعب قد أثر في نفسها .

جوكاست

إنها تلح علىّ في أن أدعها تعني بالمرضى ، وقد أبيت عليها
ذلك ؛ لأنه ليس من شئون الأميرات . هنالك قالت لي :
فلأصلّ من أجلهم ولأضرع إلى الإله في أمرهم ، وربما
ضرعت إليه في أمرٍ . ثم قطع البكاء صوتها فلم يُتمّ .

تيرسياس

في أمر شخص آخر أشد منهم مرضاً .

كريون

أكانت تفكر في أبيها ؟

تيرسياس

من غير شك . كيف تلتقي أوديب هذا النبأ ؟

چوكاست

مغضباً محزوناً اول الامر ، ثم صائحاً لأنه يعرف في
هذا صنع تيرسياس .

تيرسياس

لست إلا أداة الإله، وما دام الإله يتخذني أداة
لإنفاذ أمره فلن يقف هملي عند هذا الحد.

چوكاست

ما أعظم حظ هذا الزوج الحبيب إلى من الثبات
والفضيلة والشجاعة! إن الواجب يفرض علينا يا تيرسياس
أن نرده إلى طاعة الإله.

تيرسياس

يجب على كريون أن يعينني. يجب عليه أن يززع ثقة
الملك بنفسه في عهدهُ بذلك لحسن الاستماع لي.

كريون

سأحاول ، ولكنى لست واثقاً بالنجح فإن أوديب
لا يلقى السمع إلى من يثقل عليه .

تيرسياس

سيهديك الإله كما يهدينى إلى الوسيلة التى تمس
بها قلبه .

كريون

لم يُعنَ الإله كثيراً بهدايتى قط .

تيرسياس

إنه لا يحسن العناية إلا بهداية العميان .

چوکاست

إني أعتد عليك يا تيرسياس ، فن طريقك يأتينا العلم
بإرادة الإله القدير .

الفصل الثاني

« أي أوديب أمها الذي ولد في غير
احتياط وكان السكر له اباً . »
[أوربيد : الفثقيات .]

يتقدم أوديب وكريون ومما
يمضيان في حديث كانا قد بدأه

كريون

... لو لم نكن متباينين إلى هذا الحد لما وجد أحد
منا هذه المتعة حين يفهم عن صاحبه : وإني أيها الصهر
العزيز لأحب حديثك ؛ لأنك تفتح لي آفاقاً لم أكن

لاهدى إليها وحدي . فلك الابتكار والتجديد . أما أنا
 فيقيديني الماضي ، وأنا من أجل ذلك أحترم التقاليد
 والمعادن والقوانين المقررة . ولكن ألا ترى أن من
 الخير للدولة أن يمثل هذا كله ، وأنى أحقق التوازن
 المفيد بإزاء عقلك المجدد ، فأحول بينك وبين الاندفاع
 وأهدى من مغامراتك الجريئة التي توشك أن تحطم
 نظام الجماعة إذا لم تؤخذ بشيء من القصد يأتيها من هذا
 السكون ومن هذا التشبث بالقديم . . .

أوديب [في شيء من الذمول]

هذا ممكن .

كريون

إن شعور الأسيرة شديد السلطان على نفسى ، وأنت

من هذه الأسرة ، وأمر ابنائك يعنيني كأمر أبنائي
فأذن لي في أن أجد شيئاً من القلق على صحة إسمين ، فهي
عصبية ، وقد لاحظت ما أصابها أمس من الإغماء حين
سمعت حديث أخيها . . .

أوديب

إن هذا الإغماء لم يطل .

كريون

ومع ذلك فيجب أن نُعنى بها فنحملها على شيء من
الرياضة . . . وكذلك جوكاست يخيّل إلى أنها لا تستمتع
بالصحة الكاملة منذ أيام ؛ فهي قلقة لما يصيب الشعب من
شقاء ، فمن الحق عليك أن تحاول تسليتها .

أوديب

حَسَنٌ ، حَسَنٌ !

كريون

وسأحدثك عن ابنك حين يتاح لنا شيء من فراغ .
 فتيرسياس أستاذ كيُّس ، ولكنهما لا يظهران حسن
 الاستماع له . قد ورثا عنك شيئاً من العناد لا أحققه ،
 فهما نائران . هل قرأ عليك إتيوكل خواطره التي صور
 فيها بلاء العصر ؟

أوديب

صورّ فيها الطاعون ؟

كريون

كلا . . . بلاء العصر مع عنوان آخر هو قلقنا .
وهو بالطبع يقصد إلى قلق عقليٍّ ممتاز . إن هذا الفتى
لغريب حقاً . وليس پولينيس اقل منه جمالا وقوة
وذكاء . إنهما يشبهانك من غير شك حين كنت في
سنيهما . ولعلك ترى نفسك فيهما .

أوديب

أحيانا .

كريون

أنتم من طائفة القلقين ، ولكنهما على الأقل يريان
ماضرت لهما من مثل . أما أنت فقد كنت ترى نفسك

غريباً عند پوليب . . . أليس هذا هو الذى هلك على
مغادرة قصره ؟ ألم تكن تجد الرضا عنده ؟

أوديب

كنت أجد عنده كل ما أحب ، ولكنى أكره أن
أدلل . وكنت أعتقد فى ذلك الوقت أنى ابن پوليب . ثم
أقبل إلى القصر ذات يوم كاهن كان يتحدث إلى الناس
بأمر مستقبلهم ، وكان كل واحد يريد أن يسأله عما يضم
له الغيب . فلما جاءت نوبتى امتثع لونه وأبى أن ينبئنى
بأمرى أمام الناس ، ثم انفرد بى وأنبأنى بأنه قد كتب علىّ
أن أقتل أبى . ضحكت أول الأمر لهذه النبوءة ، ولكنى
رأيتة يلحّ ويؤكد ، فلم أر بأساً بشيء من الاحتياط ،
وكان أول ذلك أن أصرح پوليب بالأمر ، وأن أنبئه
بأنى فراراً من هذه النبوءة السيئة سأفارقه إلى آخر

الدهر مهما يكلفني ذلك من مشقة ، فقد كنت أحبه .
 هنالك أنبأني ليردّ الطمأنينة إلى قلبي بأنني لست ابنه ،
 وإنما تبناي ، فما ينبغي إذن أن أخاف أن تتحقق هذه
 النبوءة فيما يتصل به . ولم يستطع أن يبيّن لي عن أبي
 شيئاً ، وإنما حدثني بأن راعياً من رُعّاته وجدني في
 الجبل وقد علقت كالثمرة من إحدى رجليّ إلى غصن
 دانٍ لبعض الشجيرات (وهذا هو الذي جعلني أعرج
 قليلاً) وجدني عارياً معرضاً للريح والمطر كما يُطرح
 الطفل الذي يُنتجه الحب الآثم ، والذي يراد التخلص
 منه لأنه جاء على غير انتظار ليفسد على المحبين
 أمرها ...

كريون

طفلٍ لغِيّةٍ . لا بد أن يكون ذلك قد آذاك .

أوديب

كلا ! لم يؤذنى . ولعل مما يسرنى أن أعرف أنى لم
اولد لرشدة ؛ فقد كنت أتكلف كثيراً من الجهد لأقلد
بوليب حين كنت أعتقد أنى ابنه . وكنت أقول لنفسى
أى شىء فىّ لم أرته عن آبائى . وكنت أسمع لدروس
الماضى ، وأنتظر من أمس وحده إقرار ما عملت وإملاء
ما ينبغى أن أعمل . ثم تنقطع الأسباب فجأة ، وإذا أنا
قد نجمت من المجهول ، فليس لى ماضٍ وليس لى نموذج
أحتذيه ، وليس لى شىء أعتمد عليه ، وإنما يجب أن
أبتكر كل شىء : أن أبتكر الوطن ، وأن أبتكر الأجداد
وأن أخترع كل شىء وأستكشف كل شىء . ليس هناك
شخص يمكن أن أشبهه إلا أن أكون أنا هذا الشخص .
وما الذى يعينى إذن أن أكون من أبناء اليونان أو من

أبناء اللورين ؟ كيف تستطيع يا كريون وانت المثلث
 بقيود الماضى الملائم للتقاليد الموروثة فى كل شىء ، أن
 تقدّر ما فى هذه الحاجة إلى ابتكار كل شىء من روعة
 وجمال . إن جهل الأبوين دعاء إلى مضاء العزم .

كريون

ولكن فيم تركت بوليب بعد أن ردك إلى الاطمئنان ؟
 فقد كنت متبناه ولم يكن له وارث ، فكنت خليفاً أن
 ترقى بعده إلى العرش .

أوديب

لست أكره شيئاً كما أكره الاستئثار بما ليس لى فيه
 حق ، ولا أريد أن أنتفع بشىء إلا إذا اكتسبته بالعزم
 اكتساباً ، وكنت أجد فى نفسى فضائل كأنها كانت نائمة ،

ولم أكن أطيق لها هذا الجود . وكنت أشعر أنى بهذه
الحياة التى كنت أحيها فى قصر بوليب راضياً ناعماً بالبال
إنما كنت أضيع ما كتب لى من حظ .

كريون

من الطبيعى أن أرى غير ما ترى ؛ فلو قد كنت
مجهول النسب لكان من الممكن أن أتكأف من الخصال
وأطلب من المزاياء مثلك ما لم يقدر لى من طريق الوراثة .
ولكنى أنا ابن ملك وأخو ملك لا أستطيع إلا أن أكون
محافظاً . لم أكن ملكاً ولكنى كنت أحب أن أستمتع
بنعمة الملك فى قصر لا يوس ، كما أحب أن أنعم فى قصرك
بكل مزاياء الملك دون أن أهمل ثقله أو أتكأف
هجومه .

أوديب

انعم في سلام ! انعم في سلام يا كريون . لعل
من الخير أن يكون أمثالي أشخاصاً نادرين . ولكني
أرى الفتية يقبلون ، فلنستمع لهم دون أن يرونا .

يتنحى أوديب وكريون
وتدخل أنتيجون وپولينيس

پولينيس

لا سبيل إلى التفكير الحر إلا إذا أزلنا هذه الأثناء
التي تفرضها العبادة على العقل .

أنتيجون

إن الاستسلام للشهوات تفرض عليه أثناء أشد
نكراً وتعطفه إلى الشر . نعم ! لقد اتخذ عقلي هذا الشيء

الذى يضطره إلى ألا يفكر إلا تفكيراً مستقيماً . ومن
المحقق أن كل اتجاه لشخصي إنما يدفعني إلى ...

بولينيس

أتمنى .

أنتيجون

... يدفعني إلى الإله !

بولينيس

لماذا لم تنمى حديثك أول الأمر ؟

أنتيجون

لأنني أعلم أنك لا تؤمن بالإله .

بولينيس

الإله إنما هو في حقيقة الأمر شيء تضعينه عند آخر
تسكيرك . أتؤمنين به حقاً ؟

أنتيجون

بكل قلبي وبكل عقلي . ولولا أني أتحدث إليك لقلت
بكل نفسي ، ولكنك لا تؤمن بالنفس أيضاً .

بولينيس

لعلك تفتحين إلى أن تحمليني على الإيمان بنفسك . . .
ولكن هذا الإله الذي تذكرينه أوجد خارج عقلك ؟

أدريه جيد

أنتيجون

نعم ! مادام يجذبني إليه .

بولينيس

إنما هو انعكاس بسيط لما في نفسك من الفضائل !

أنتيجون

بل أنا التي أعكس بعض ما فيه من خير ، فكل فضيلة
إنما تصدر عنه هو .

بولينيس

أى أنتيجون : اسمى لي . . . ولا يأخذك الخجل
من سؤالى .

أنتيجون

إني أخجل مقدما ، ولكن سل مع ذلك .

بولينيس

أمن المحرّم أن يتزوج المرء أخته ؟

أنتيجون

نعم لاشك في ذلك . إنه محرّم أمام الناس وأمام
الآله . لمّ تسألني هذا السؤال ؟

بولينيس

لأنني لو استطعت أن أتخذك لي زوجا لاسمكت قيادي
حتى تبلغيني إلهك هذا .

أنتيجون

كيف تقترف الشر وترجو أن تصل به إلى الخير؟

بولينيس

الخير والشر... لا يردّد فك إلا هاتين الكلمتين

أنتيجون

لا تنفتح شفتاي عن كلمة إلا إذا كان مصدرها قلبي

كريون وأوديب قد استخفيا أثناء هذا المنظر
وسيطان مستخفيين أثناء المناظر التالية

كريون [إلى أوديب]

كلا إنك لتعلم أني لا أستطيع أن أقبل الزواج

بين المحارم.

أوديب

صه أ

يتنحى بولينيس وانتيجون
ويدخل إتيوكل وإسمين

إسمين

ما أندر لقاءك منفردا ! إنك دائماً في صحبة أخيك .
كيف تستطيع أن توافقه دائماً ؟

إتيوكل

أليس طبيعياً أن يفهم الأخ أخاه أكثر مما يفهمه
الاجنبي ؟

إسمين

إن بين أنتيجون وبينى اختلافا عظيما في الذوق ، حتى
 إننا لنختصم في غير انقطاع ، فهى تلومنى فى كل ما أحب
 وتزعم لى أنه محذور ، حتى انتهى بى الأمر إلى أنى لا أجرؤ
 أمامها على الضحك أو اللعب . وأنا أعلم أنها أكبر منى سنا ،
 ولكنى أكاد أعتقد أنها لم تكن صبية قط .

إتيوكل

بولينيس وأنا توءمان قد وُلدنا معا ونشأنا معا ،
 فكل شىء بيننا مشترك ، فأنا لا أذوق لذة ولا أجيل
 خاطراً حتى يجبد على الفور مثل ما أجد ، فيزيده ذلك
 قوة وأيدا .

إسمين

لست واثقة بأن مما يسرنى أن أجد لى ضريباً ، بل
لست واثقة بأنى لن أكرهه إن وجد ؛ فهناك أشياء
لا تحسن فيها الشركة .

إتيوكل

لم نواجه إلى الآن شيئاً من هذه الأشياء .

إسمين

لو أن أحدكما أحب . . .

إتيوكل

لعلنا أن نحب توومين .

إسمين

فاذا اتصل الأمر بالملك ؟

إتيوكل

لقد اتفقنا على أن نتناوب العرش .

إسمين

فإن لم تجدا توأمين .

يضحك

إتيوكل

سأدعك لأشاوره في ذلك .

يخرج إتيوكل وتدخل أنتيجون

أنتيجون

كيف تضحكين والشعب في حداد؟

إسمين

إنك أنت لا تضحكين حتى حين يكون كل شيء من
حولك سعيداً .

أنتيجون

واحسرتاه ! إن في كل مكان من هذه الأرض شقاء
لا يقاس إليه ما قد يوجد من فرح .

إسمين

إنما الفرح في أعماق نفسى ، وإني لأسمع في قلبي غناء .

إن البكاء على الأشقياء لا يفهمهم من الشقاء ، ولكنك
 أنت لا تميلين إلا إلى الذين يألمون . ولعل ابتهاج الناس
 من حوالك أن يسوءك

أنتيجون

إن سعادة بعض الناس تقلقني يا إسمين .

إسمين

بعض الناس ؟

أنتيجون

سعادة أبي . وكلما ازداد حبي له اشتد خوفي من هذه
 السعادة التي يزعمها لنفسه . إنه يهمل الإله . وليس
 للإنسان معتمد غير الإله .

إسمين

ان فرحى شىء مجنح .

تخرجان

كريون [إلى أوديب]

أترى إلى هؤلاء الفتية كيف يحسنون الحديث !
« ان فرحى شىء مجنح » . . . جملة ينبغى أن تحفظ .
أما أنتيجون فظاهر حديثها لا يدل على شىء ، ولكن
أتعلم أنه فى حقيقة الأمر شديد العمق ؟ هو بالضبط
ما كنت أريد أن اشعرك به ، ولكنى لم أكن أعرف
كيف أقول .

أوديب

ما ذا إذن ؟

كريون

هو أنى لا أرى سعادتك من المتانة بحيث تظن .
ولكن لنستمع لابنيك .

يدخل إتيوكل وبولينيس

إتيوكل

وفى الحق ما الذى نلتمس فى الكتب ؟ إنما نلتمس
فيها الإذن بما نريد أن نعمل ، بل إن الذين يزعمون أنهم
يحبون النظام ويحترمون الأشياء المقررة ، هؤلاء الذين
يسمئهم تيرسياس أصحاب التفكير القويم ، إنما يلتمسون

في الكتب الإذن في أن يضائقوا ويظاهوا ويخيفوا
جيرانهم . إنما يلتمسون أصولا ونظريات تريخ ضمائرهم
وتضع الحق إلى جانبهم .

بولينيس

أما نحن أصحاب التفكير المعوج فإنما نلتمس في
الكتب الإذن بأن نأتى من الأمر ما تنكره التقاليد
ويأباه حسن الذوق وتحظره القوانين .

إتيوكل

وبعبارة أخرى الموافقة على مخالفة المؤلف .

بولينيس

أعم ، شىء يشبه هذا .

إتيوكل

فانا الآن مثلاً ابحث في الكتب عن جمل تبيح لي أن
أخذ إسمين لي خلية .

كريون [في صوت خافت إلى أوديب]

وقح .

بولينيس

أختك ؟

إتيوكل

أختنا . . . ماذا تنكر من هذا ؟

بولينيس

إن وجدت هذه الجملة فأظهرني عليها

كريون

وقحان .

أوديب [إلى كريون]

انصرف .

يخرج كريون

إتيوكل

إذا وجدت ماذا ؟

بولينيس

هذا الإذن . على أن هناك إذناً أقل شمولاً وهو أن
تستغنى عن الإذن .

إتيوكل

أما هذا الإذن فلم أنتظر أن أظفر به في الكتب ! ...

بولينيس

لا تتفع به ؟

إتيوكل

طبعاً ! وإذا كنت الآن ألتمس الإذن فإنما ألتسه
لها هي ...

بولينيس

لا يسمين ؟

إتيوكل

نعم ، لا يسمين ، أما أنت فلست في حاجة إلى إذن .

بولينيس

وإذا منحتك لكمة على هذا الوجه الوقح أظنك
لا تستطيع أن تزدري هذه اللكمة .

إتيوكل

حاول ، جرب ، أنت غيران ! ألم نشترك إلى الآن في
كل شيء ! وإذن فقد أخطأت حين أفضيت إليك بهذا

الحديث . ومع ذلك أيها الأحمق فأني لم أقل هذا إلا
لأغبطك .

بولينيس

أقسم لي على أن لاريبة بينك وبين إسحقين .

إتيوكل

إلى الآن لاريبة . إني أكظم .

بولينيس

ما أراك تكظم كما أكظم .

إتيوكل

لو لم أحدثك لما فكرت في هذا .

بولينيس

أى إني لم أكن أعلم أنى أفكر فيه ، فهناك أشياء
تفكر فيها دون أن نشعر .

إتيوكر

هذه مادة أحلامنا .

بولينيس

ألم تسأل نفسك قط إلى أى حد يمكن أن يذهب
التفكير ؟ يخيل إلى أنه أشبه شىءً بالتنين الذى لانكاد
نعرف منه إلا جسمه وذنبه ، ما ينسحب منه فى الماضى :
وحش غريب غامض أحس أن رأسه المنكر القبيح يساير
ضميرى وشعورى وحسى ، يتحسس كل شىء ويشم

كل شيء ويرسل في كل مكان رغبة شديدة في
الاستطلاع المعري ، أما سائرهم فيمتبعه كما يستطيع .

إتيوكل

هذا التنين هو الذي أسميه بلاء العصر ، أجد في
نفسى أسئلته التي لا تنقضى . إنه ياتهمني بأسئلته .

بولينيس

إني أفكر في التنين الذي قهره كدموس . يقال إننا
نشأنا من أسنانه .

إتيوكل

أصدق ذلك يا بولينيس ؟ يقال أيضاً إن ابنة كدموس
الهالكة حملت في أحشائها الإله باكوس . في هذا العصر

الذى نعيش فيه والذي تقدمت فيه الحضارة ، ومنذ قتل
أبونا آخر ذرية أبى الهول لا تضرب الآلهة والكائنات
الغريبة فى الهواء ولا فى الريف ، وإنما تضرب فى أنفسنا .

بولينيس

كدموس (٢) ، ليكوس (٣) ، أمفيون (٤) الذى أهدى
إلينا الكتابة تقيدها خواطرننا . . . إن الإنسانية لتظهر لى
متقدمة السن ، وإنى لأرى هذا كله بعيد العهد بنا !
وإنى لأفكر فى الوقت الذى لم يكن الإنسان فيه قد
اهتدى إلى الكلام .

إتيوكل

إن تيرسياس يعلمنا أن الكلام هبة من الآلهة
للناس .

بولينيس

إن إيماني بالآلهة لأقل من إيماني بالاباطال .

يتقدم أوديب نحو ابنيه

أوديب

لقد أحسنتما القول ! إني لأعرف فيكما ابني . إني
 لأسمعكما (لقد كنت أسمع عليكما) فأسف لأنني لم
 أتحدث إليكما كثيراً . ولكنني أحب أن أقول لكما قبل
 كل شيء يا ابني احترما أختيكما . إن ما يمسننا من
 قريب ليس بالغنيمة النافعة . إن من أراد أن يعظم خليق
 أن ينظر إلى بعيد . ثم لا تكثرا النظر إلى وراء . قدراً
 أن الإنسانية ما زالت بعيدة جداً عن غايتها أبعد مما نظن

وبينها وبين هذه الغاية آماذ اطول مما بينها وبين عهدها
الأول الذي لا نكاد نلحظه .

إتيوكل

الغاية . . . ما عسى أن تكون الغاية ؟

أوديب

هى أمامنا مهما تكن . يخيّل إلىّ أنى أرى الأرض
بعد وقت طويل جداً وقد سكنها أناس أحرار ينظرون إلى
حضارتنا كما ننظر نحن إلى الحضارة القديمة فى أول عهدنا
برقيتها البطيء . وإذا كنت قد قهرت أبا الهول فما ينبغى
أن تستريحا . هذا التنين الذى كنت تتحدث عنه يا إتيوكل
يشبه ذلك الوحش الذى كان ينتظرنى على أبواب ثيبا حيث
كان يجب أن أدخل ظافراً . إن تيرسياس ليثقل علينا

بتصوفه وأخلاقه . لقد تعلمت هذا كله عند پوليب . إن تيرسياس لم يخترع شيئاً ، وهو لا يستطيع أن يسيغ الذين يبحثون ويخترعون . إنه على ما يزعم لنفسه من الاتصال بالآلهة ومن علم الغيب من طريق الوحي أو من زجر الطير ، لم يكن هو الذي استطاع أن يحل اللغز ! لقد فهمت ، فهمت وحدى أن كلمة السرّ التي ينجو بها الإنسان من أبي الهول هي : الإنسان . لم يكن بد من بعض الشجاعة ليُنْطَقَ بهذا اللفظ ، ولكني كنت قد أعددتَه قبل أن أسمع اللغز . وقوتي إنما جاءت من أني لم أكن أقبل جواباً غير هذا مهما يكن السؤال الذي يلي .

فقد ينبغي أن تفهما يا ابني أن كل واحد منا يلتي أول الشباب وحشاً قائماً يريد أن يأخذ عليه الطريق . وهذا الوحش يا ابنيّ يعرض على كل واحد منا سؤالاً خاصاً ، فاعلمنا أن هذه الأسئلة مهما تختلف فإن جوابها

واحد لا يتغير . نعم ! ليس هناك إلا جواب واحد لهذه
 الأسئلة كلها ، وهذا الجواب هو الإنسان ، وهذا
 الإنسان الفرد بالقياس إلى كل واحد منا هو
 شخصيته .

هنا يدخل تيرسياس

تيرسياس

أى أوديب : هذه هى الكلمة الأخيرة لحكمتك ؟
 إلى هذا ينتهى علمك ؟

أوديب

بل من هنا يبدأ علمى ، وليست هذه الكلمة إلا
 الكلمة الأولى .

تيرسياس

والكلمات التالية ما هي ؟

أوديب

سيبحث عنها ابنائى .

تيرسياس

لن يجداها ، كما أنك لم تجدها .

أوديب [لنفسه]

إنه لأشد محالاً من أبى الهول .

إلى ابنيه

دعانا .

يُخرج إتيوكل وپوليتيس

تيرسياس

نعم ! إنك تطلب إلى ابنيك أن ينصرفا حين لا تجد
 ما تقول لهما ، وحين يضطر عامك إلى العجز . لا تستطيع
 أن تعلمهما إلا الكبرياء . كل علم يأتي من الإله لا من
 الإله ، فهو باطل .

أوديب

لقد أعتقدت وقتاً طويلاً أن إلهما كان يهديني الطريق .

تيرسياس

إلهما لم يكن شيئاً آخر غيرك ، أنت الذي ألله نفسه .

أوديب

إلهاً أفهمتى أنت أنى أستطيع أن أستغنى عنه .

تيرسياس

عن هذا الإله الدعى تستطيع أن تستغنى من غير شك
لا عن الإله الحق ، هذا الذى تابى أن تعرفه ، ولكنه
يراقب خطاك ويتتبع أشد خواطرك خفاء ، الإله الذى
يعرفك خيراً مما تعرف أنت نفسك .

أوديب

من أين لك أنى لا أعرف نفسي ؟

تيرسياس

من أنك ترى نفسك سعيداً .

أوديب

ولم لا أرى نفسي سعيداً حين أكونه ؟

تيرسياس

إن المريض الذي يرى نفسه صحيحاً ليس شديد الشهوة

إلى الشفاء .

أوديب

أتريد أن تقنعني بأنني مريض ؟

تيرسياس

مرضاً شديداً ، لأنه يزيد خطره أنك لا تعلم . أى
 أوديب : إنك تزعم الإيفلات من الإله وتجهل نفسك ،
 وأريد أن أعلمك كيف ترى نفسك .

أوديب

يُخَيَّلُ إِلَى مَنْ سَمِعَكَ أَنْ الْأَعْمَى مَنَا هُوَ أَنَا .

تيرسياس

أى أوديب : إن كانت عيننا وجهى مقفلتين ، فإنما
 ذلك لترداد عيننا نفسى إبصارا .

أوديب

وبعيني نفسك هاتين ما ذا ترى ؟

تيرسياس

أرى بؤسك . ولكن أجبني منذ كم من الوقت
تركت عبادة الإله ؟

أوديب

منذ تركت السعى إلى معابده .

تيرسياس

طبعاً إذا لم تؤد فرائض العبادة خبت في نفوسنا

جدوة الإيمان . ولكن لماذا لم تقرب المعابد حين كانت
في نفسك بقية من إيمان ؟

أوديب

لأن يَدَيَّ لم تكونا نقيتين .

تيرسياس

أى جريمة دنستهما ؟

أوديب

دنستهما جريمة قتل اقترفتها على طريق الإله الذى
كنت أريد أن أستشيريه ، وأبى الهول الذى قهرته .

تيرسياس

من ذا الذى قتلت ؟

أوديب

رجل مجهول كان يعترض طريقى بعربته .

تيرسياس

الطريق التى كانت تقودك إلى الإله . فإن الطريق التى
 لقيت فيها أبا الهول طريق أخرى ، ولكنك كنت تعلم
 أن الإله لا يرجع جوابا على من دنس يديه .

أوديب

هذا حق ، ومن أجل ذلك عدلت عن استشارة
الاله وأخذت الطريق التي قهرت فيها أبا الهول .

تيرسياس

ماذا كنت تريد أن تطلب إلى الإله ؟

أوديب

أن ينبئني ابن من أنا ؟ ثم أزمعت بقاءة أن أجهل هذا
النسب .

تيرسياس

بعد اقتراف الجريمة !

أوديب

تعلمت نجاة كيف أتخذ من هذا الجهل قوة .

تيرسياس

قد كنت أظن أنك طُلعة شديد الرغبة دائماً في أن
تعلم كل شيء . . . ولكن قبل هذا التهاون المتعمد . . .
فسّر لي يا أوديب . . . لماذا كنت شديد الحرص على أن
تعلم من الإله ما كنت تريد أن تسأل عنه ؟

أوديب

لأن وحيًا تنبأ بأنني يجب . . . أي تيرسياس : إنك
تثقل عليّ ، ولن أجيبك بعد الآن .

تيرسياس

لقد تنبأ الوحي كذلك للايوس بأنه سيموت مقتولا
 بيد ابنه . أى أوديب . أى أوديب أيها اللقيط ! أيها
 الملك الآثم ! إن جهلك لماضيك هو الذى يمنحك هذه
 الثقة . إن سعادتك عمياء . افتح عينيك على شقائك . لقد
 استرد الإله منك حقك فى أن تكون سعيداً .

يخرج تيرسياس

أوديب

اغرب . اغرب ! كأَن السعادة كانت هى الشئ الذى
 كنت أبتغيه ، إنما هربت منها حين تركت پوليب قوى
 الساقين مطلق اليدين . من ذا الذى يستطيع أن يصور
 جمال الفجر وهو يلتقى أشعته على البرناس (٥) حين كنت

أسعى في الندى نحو الإله أتمس جوابه ، كنت لا أملك شيئاً إلا قوتي ، ولكنى كنت غنياً بما كان في شخصيتى من استعداد ، وكنت أجهل نفسى . نعم لقد كان مصيرى معلقاً بجواب الإله ، وكنت أذعن فرحاً لهذا المصير
ولكن هنا شيئاً لا أصل إلى فهمه . ومن الحق أنى لم أفكر فيه كثيراً إلى الآن . يجب أن يقف الإنسان ليفكر ، وكنت فى ذلك الوقت مدفوعاً إلى العمل
أمن الحق أنى تحولت عن طريق الإله لأن يدي لم تكونا نقيتين ؟ لم أكن أحفل بذلك حينئذ . ويخيل إلى الآن أن جريمتى هى التى وجهتى نحو أبى الهول . ماذا كنت أريد أن أطلب من الإله ؟ كنت أطلب جواباً . وقد كنت أشعر بأنى كنت أنا نفسى جواباً لسؤال لم أكن أتبينه ، ثم عرفت أنه سؤال أبى الهول . لقد قهرته أنا الذكى . ولكن منذ ذلك الوقت ألم تزدد الأشياء كلها

غموضاً من يوم إلى يوم بالقياس إلى ؟ منذ ذلك الوقت
منذ ذلك الوقت . . . ماذا صنعت يا أوديب ؟ لقد نعت
بالمكافأة ونمت عشرين سنة ، ولكنى الآن أخيراً أحس
الوحش يتمطى في دخيلة نفسى . إن مصيراً عظيماً ينتظرنى
مستخفياً فى ثنايا التاريخ . أى أوديب لقد مضى وقت
الطمأنينة . أفق من سعادتك .

الفصل الثالث

« إني أضرع إليكم في ألا
تظنوا بي ازدراء القوانين »

[سوفوكل : أوديب في كولونا]

أوديب [وقد أخذ بالمعطف الملكي لچوكاست]

كلا ! أريد أن أعلم . لا تَنَسَلِي كما ينسل الظل .
فلن أعفيك حتى أعلم . لن أخليك حتى أعلم كل ما عندك
من الحقائق . إن هنا شيئاً غامضاً ملتبساً أريد أن أوضحه
مهما يكن من شيء . وأجيبيني أولاً : أكنت تعلمين بموت
لايوس حين دخلت ثيبا بعد أن أتيح لي قهر أبي الهول ؟

چوکاست

کیف أعد بالعرش قاهر أبی الهول دون أعلم أنى آیم!

أودیب

فلم یکن یکفی للاستئثار بملك ثیبا أن یقهر أبو الهول،
بل لم یکن بد من قتل الملك .

چوکاست

بماذا ترید أن تتهم نفسك .

أودیب

کلا! کلا . إنک تتعجلین ، إنما أردت أن أقول لم
یکن بد من أن یموت الملك .

چوكاست

اسمع لي : لست أذكر جيداً حقيقة ما كان ولا كم
مضى من الوقت بين موت الملك ووصولك إلى ثيبا ، إنما
بعرف ذلك حق المعرفة كريون ، وهو يستطيع أن ينبئك
بجليته .

أوديب

ما الذي يعنيني من أمر كريون ؟ أتعلمين ماذا قال
لي ؟ لقد قال لي إن من الحق على أن أكفي قاتل
لايوس لا أن أعاقبه ، فلولا جريمته لما ارتقيت إلى
العرش . ولكن موت الملك أكنت تعلمينه ؟ قولي
يا چوكاست .

چوكاست

كيف تريد أن أذكر ذلك يا صديقي ؟ بماذا تريد أن
تعذب نفسك ؟ لست أعلم إلا شيئاً واحداً وهو أنني لم
أكد أراك حتى أردتك .

أوديب

لم يكن بد من أن يخلو العرش والسرير من صاحبهما
قبل أن يشغلهما شخص آخر . وقتل الملك وحده هو
الذي أتاح لي الظفر بهما . ولكن أنت ألم تكوني
تعلمين أنك حرة ؟

چوكاست

يا صديقي يا صديقي لا تنبه إلى شيء من هذا ؛ فإن أحداً
من المؤرخين لم يلتفت إليه .

أوديبي

إذن فأنا أفهم كل شيء . لقد كنت تعرفين قاتل الملك .

چوكاست

ص ٤٠

أوديبي

القاتل هو أنا .

چوكاست

اخفض صوتك .

أوديبي

لم أكن قد أزلت عن يدي دم القتييل حين كنت أسعى
إلى أبي الهول لأقهره .

چوكاست

قف .

أوديبي

لقد كان يريد أن يمنعني من التقدم . كانت عربته
تعترض طريقي ، فلما خابمته في ذلك ليفسح لي الطريق
قتلته . هذا المجهول الذي لم يكن يحمل شارة الملك
لم يكن إلا . . .

چوكاست

لماذا تريد أن تعلم ؟

أوديبي

أنا شديد الحاجة إلى ذلك .

چوكاست

ألا تشفق على سعادتك ؟

أوديب

لا أشفق على شيء . لا أريد سعادة تقوم على الجهل
والخطأ . هذه السعادة تليق بالشعب ، أما أنا فلست في
حاجة إلى أن أكون سعيداً . لقد قضى الأمر وتمزق
سحاب تلك الأحلام الساحرة . تستطيع أن تأتي
يأثيرسياس .

يدخل تيرسياس يقوده كريون

تيرسياس

أأنت في حاجة إلى ؟

أوديب

لم يأت وقت الحاجة إليك بعدُ . أريد قبل ذلك أن
 أهبط إلى قاعة الهوة . قل لي ، هذا الملك الذي قتلته . . .
 كلا ! لا تقل شيئاً . لقد فهمت كل شيء . لقد
 كنت ابنه .

كريون

آه ! يا للعجب ! ماذا أسمع . . . ؟ أتكون أختي أمه !
 أوديب هذا الذي كنت أحبه أيمن أن يتخيل الإنسان
 أبشع من هذا ؟ ألا أعلم أيكون صهرى أم ابن أختي ؟

أوديب

ألا يعينيك إلا هذا ؟ لا تشغلني بصلات النسب ، هذه ،
 فلو أن ابني كانا لي أخوين لآزداد حبى لهما قوة .

كريون

أئذن لي في أن أرى هذا الخلط بين ألوان الشعور
مؤلماً. ومع ذلك فمن حق عليك ان تجرمني ، ألسنت خالك ؟

أوديب

يا لها من مكافأة بغیضة على حل اللغز ! ماذا ؟ أهذا هو
اللغز الآخر الذي كان يستخفي وراء أبي الهول . وأنا
الذي كان يهني نفسه بجهل أبويه . بفضل هذا الجهل
تزوجت أمي . واحسرتاه ! واحسرتاه ! وتزوجت معها
ماضي كاه : الآن أفهم لماذا نامت مروءتي . لقد كان
المستقبل يدعوني عبثاً لأن چوكاست كانت تردني إلى
وراء . أي چوكاست : لقد كنت تزعمين في جنون إلغاء
ما لم يكن بدمن وقوعه ، أنت التي كنت أحبها حب الزوج

وكنت أحبها دون أن أعلم حب الابن . . . لقد آن الوقت
 دعيني ! إني لأقطع ما بيني وبينك من صلة . أما أتم يا بني
 يارفاق غفرتي ، أيتها الحقائق الواقعة لما ثار في نفسي من
 رغبات : سأدخل من دونكم في المساء لأتم ما كتب لي
 من مصير .

تيرسياس

أى أوديب يا ابن الخطأ والخطيئة لتولد من جديد .
 قد كنت في حاجة إلى الألم ليتجدد شخصك . خذ بحظك
 من الندم ، أقبل على الإله الذي ينتظرك . سيوضع عنك
 وزرك .

أوديب

بأمر الإله الذي رسم لي طريقى قبل أن أولد نصب
 الشرك لأوخذ فيه . فليس بد من إحدى اثنتين : فإما أن

يكون الوحي قد كذب ، وإما أن يكون الهلاك قد قضى
عليّ . لقد كنت مجبرا .

تيرسياس

كنت مجبرا بحكم الإله الذي يستطيع وحده أن يصلح
بينك وبين نفسك وأن يكفر عنك خطيئتك . ستفكر في
هذا . ولكن أليس من الخير أن ينبه الشعب . لقد
وعدته أنت بعقاب المجرم كما أراد الإله ليرفع عنه الشر .

أوديب

أنبيء من شئت . لا أريد أن يجهل أحد شيئا . ادع
أبنائي أيضاً . ولكن أنبئهم أنت . أنبيء الناس جميعاً بما
لا أحسن أنا إنباءهم به . أنبئهم بهذه الجريمة التي لا أعرف
كيف أسميها .

يخرج تيرسياس

جو كاست

لماذا تذيع ما يمكن أن يظل بيننا مكتوماً ؟ كان من
 الممكن ألا يتوهم أحد شيئاً . وما زال هذا ممكناً إلى الآن .
 لقد نسيت الجريمة . إنها لم تمنع ، بل إنها أتاحت سعادتك .
 لم يتغير شيء .

أوديب

كيف تقولين لم يتغير شيء . لقد تغير كل شيء ،
 ولم يبق شيء واحد كما كنت أفهمه من قبل . فقد كنت
 أولاً ابن ملك دون أن أعلم . ولم أكن في حاجة إلى القتل
 لأملك . كان يكفي أن أنتظر .

جو كاست

أراد الآلهة شيئاً غير هذا .

أوديب

وإذن فما عملته لم أكن أستطيع أن أتركه . نعم لقد كنت أعتقد أن إلهاً يهدينى وكنت أستمد من هذا الاعتقاد الثقة بسعادتي ، ثم أهملت هذا الاعتقاد نفسه وجعلت أتعتمد على نفسي . أما الآن فلست أعرف نفسي في أعمالى . هناك عمل مع ذلك صدر عني وأود لو أجدده . . . لأن مظهره قد تغير . أو لأن نظري إليه قد تغير على الأقل حتى أصبح كل شيء يبدو لي مختلفاً .

چوكاست

لقد أضلك إله في ذلك الوقت .

أوديب

إله ، تقولين ؟ لقد كنت أرى نفسى قويا بحيث
أستطيع أن أستغنى حتى عن الإله . لقد أردت أن أتحوّل
عنه حين اتجهت إلى أبي الهول . لماذا ؟ هذا هو الذى
أفهمه الآن . لقد كنت راضياً بالخضوع للإله حين كان
يقودنى إلى المجد ، لا حين يقودنى إلى الجريمة ، إلى
الجريمة التى أخفى علىّ بشاعتها . . . يا لها خيانة من الآلهة
ملؤها الجبن ! إنها خيانة لا تطاق . . . ألا أزال إلى الآن
خاضعاً لها ؟ هل تنبأ الوحي بما يجب أن أصنع ؟ يجب أن
أستشيرهُ أيضاً ؟ بماذا عسى أن تنبئك الطير يا تيرسياس ؟
وددت لو أفلت من الآلهة التى تحيطنى ! وددت لو أفلت
من نفسى . إن فى نفسى شيئاً يعذبنى . إنه يشبه البطولة .
إنه يتجاوز طاقة الإنسان . وددت لو اخترع ألماً جديداً

لا أدري ما هو . وددت لو اخترع حركة جنونية تدهشم
 جميعا . تدهشني أنا وتدهش الآلهة . هاتان العينان
 اللتان لم تحسنا تنبيهي لست . . .

يخرج أوديب

چوكاست

اتبعه يا كريون . لا تدعه لحظة .

يخرج كريون

چوكاست [وحدها]

أيها التعس أوديب : ما حاجتك إلى المعرفة ؟ لقد عمات
 ما استطعت لأمنعك من تمزيق القناع الذي كان يحمي
 سعادتنا . لقد طردتني وهأنذا الآن عارية بشعة .
 كيف أستطيع أن أظهر أمام عينيك ، أمام أعين أبنائنا ،
 أمام أعين الشعب الذي أحس مقدمه ؟ وددت لو

رجعت أدراجي ونقضت كل ما عقد ، ونسيت سريرنا
 المخزي ، ولم أصبح أمام الموتى الذين ينتظرونني إلا زوج
 لا يوس وحده ...

تدخل الجوقتان وتخرج جوكاست

الجوقتان [تتحاوران]

أين تذهب الملكة؟ — تستخفي بالطبع — أين ذهب
 أوديب؟ يستخفي أيضاً. إنه خجل. — أن يتزوج الرجل
 أمه ويولدها الولد... كل هذا من شؤون الأسرة وهو
 لا يعنيننا ، إنما يعنى الآلهة الذين يسخطون عليه
 — وهناك قتل لا يوس وقد اقترفه ابنه أوديب — وقد
 وعد أوديب أن يثأر له . يمكن أن يقال إنه اضطر نفسه
 إلى حرج شديد . يجب أن يثأر الثائر من نفسه ، وأن

يتخذ نفسه على أنه مقترف الجريمة — لم يكن بد لإرضاء
الآلهة من سقوط ملك ، فقد كان شقاؤنا عظيما — أليس
من الطبيعي أن يضحي الملك بنفسه في سبيل شعبه ؟ بلى !
إذا كان من شأن هذه التضحية أن تنقذنا من الشقاء .

الجوqtان معا

أى أوديب الذى كان يرى نفسه سعيدا ويقترف في
سريره أشد الآثام خزيا : ليقنا لم نعرفك . لقد أنقذتنا من
أبى الهول ، هذا حق ، ولكن ازدراءك للآلهة يجر
علينا آلاما لا تحصى ولا يكافئها ما قدمت إلينا من خير .
كل نعيم يُنال على رغم الآلهة ، فهو نعيم مغصوب يجب أن
يُؤدى عنه الحساب إلى الآلهة عاجلا أو آجلا . لنعلن
هذه الآراء جهرة ، فإننا نرى تيرسياس مقبلا .

يدخل تيرسياس ومعه أبناء أوديب

تيرسياس

يا بَنِيّ : إنكم لتعلمون أين تجدون الملجأ إذا فقدتم
 حماية أميكم . هاكم ما سيدفعكم إلى الحياة دفعا . وقد التزم
 أوديب بقسمه أن يثأر من قاتل لايوس .

إتيوكل

ما أرى أنه يستطيع أن يرى لنفسه الحق في عرش ثيما .

بولينيس

ما أرى أنه يستطيع البقاء في المدينة .

أنتيجون

لا تنطقا بهذه الألفاظ القاسية التي سمعها الأئمة
 ويردونها عليكم .

إتيوكل

سننبح سيرة أبينا .

يولينيس

لن نحتاج نحن إلى أن نقتله لثرت عنه العرش

أنتيجون

إن أبي لم يقترب جريمته عن عمد..

إتيوكل

لن تكون لنا خطايا نحتاج إلى أن نكفر عنها .

يسمع صياح

الجوقة

ما هذا الصباح ؟

إسمين

إني خائفة ..

أنتيجون

تعالى إلى جانبي -

يخرج كريون من القصر

كريون

إن بشاعة العقاب لأشنع من بشاعة الجريمة . لقد قضت
أمكم چوكاست . لقد انتهت حياتها حينما كنت ألاحظ
أوديب « هذا ما لم يكن لعيني أن ترياه » . كذلك قال أوديب
حين عرفنا النبأ . أما أنا فقد رأيته . رأيت أختي البائسة

معلقة . وبينما كنت أجدّ في إسعافها اندفع أوديب إلى
المعطف الملصق فانتزع منه مشابكه الذهبية ، ثم دفع بها
في عينيه دفعاً عنيفاً ، وإذا بالدم والصدید يتفجران منهما
حتى يصيبني رشاشهما ، وإذا هما يسيلان على وجهه .
وهذا الصياح الذي كنتم تسمعونهُ إنما هو صياحه ،
صياح الروع أولاً ، ثم صياح الألم بعد ذلك .

تيرسياس

لم نعد نسمع هذا الصياح .

كريون

لعله أغشى عليه .

الجوقة

لا ، بل ها هو ذا . إنه لمتردد الخطو .

أنتيجون [تترك إسبين وتسرع للقاء أوديب]

أبت . . .

أوديب

هذه أنتيجون التي أمسّ الآن شعرها ؟ ابنتي وأختي

في وقت واحد . . .

أنتيجون

لا تذكر هذا الخزي إلى آخر الدهر . لا أريد أن

أعرف إلا أنني ابنتك .

أوديب

أنت التي لم تكذبيني قط . أنبئي هذا الذي لم يمد يري :

أين يكون تيرسياس .

أنتيجون

هنا . أمامك يا أبت .

أوديب

قريباً مني بحيث يسمع صوتي ؟

تيرسياس

نعم إني أسمعك يا أوديب . أتريد أن تتحدث إليّ ؟

أوديب

أهذا هو الذي كنت تريده يا تيرسياس ؟ كنت
تحسدني على ضوئي ، فأردت أن تجرني إلى ظلمتك ؟ إني
مثلك أشاهد الآن الظلمة الإلهية . لقد عاقبت عينيّ الثلثين

لم تضيئاً الى الطريق . لن تستطيع منذ الآن أن تستطيل
على بما يمنحك العمى من تفوق .

تيرسياس

إذن فهي الكبرياء التي دفعتك إلى أن تفقأ عينيك .
لم يكن إلا له ينتظر منك هذا الإثم الجديد ثمنا لجريمتك
الأولى ، إنما كان ينتظر منك الندم ليس غير .

أوديب

الآن وقد تاب إلى الهدوء وسكت عنى الألم وفارقنى
السخط على نفسى ، أستطيع أن أجادلك يا تيرسياس . إني
لمعجب بما تعرض على من ندم . أنت الذى يزعم أن الآلهة
يقودوننا وأنى لم أكن أستطيع أن أفلت مما قدروا على .

لعل هذه التضحية التي فرضتها على نفسي كانت مقدره على
 هي أيضاً بحيث لم أكن أستطيع أن أتجنبها . لا بأس !
 لقد ضحيت بنفسى عن إرادة ورضا ، لقد بلغت من
 الرفعة منزلة لم أكن أستطيع أن أعدها إلا إذا وثبت
 محاربا لنفسى .

كريون

إنى لسعيد أيها العزيز أوديب بأن أملك محتمل على
 الأقل . فقد بقى على أن أنبتك بشيء مؤلم . لن تستطيع البقاء
 فى ثيبا بعد كل الذى كان وبعد أن علم الشعب بحريمتك .

الجوقة

إننا نطلب أن ينفذ أمر الآلهة ، وأن تعفينا من
 محضرك ومن آلامنا .

كريون

إن إتيوكل وپولينيس كيطمعان في العرش منذ الآن .
 وإذ كانا ما يزالان حديثين لا يستطيعان النهوض بأعباء
 الملك ، فأسستأنف الوصاية على العرش مرة أخرى .

تيرسياس

ما أرى أن شيئاً يدهشك حين ترى ابنك ينتفعان
 بما قدمت إليهما من قدوة .

أوديب

سأترك لهما راضياً هذه المملكة التي لم يفتحها ولم
 يستحقها ، ولكنهما لم ينتفعا من القدوة التي قدمت
 لهما إلا باليسير الذي يتملق شهواتهما . لقد أخذنا بالسهل
 وتجنبنا الصعب العسير .

أنتيجون

أى أبت : إني لأعلم أنك حين تختار لا تؤثر من الأمر
إلا أنبله ، ومن أجل ذلك أزمعت ألا أفارقك .

تيرسياس

لقد وعدت بأن تمنحني نفسك للإله ، فلن تستطيع
أن تتصرف في أمرك كما تحبين .

أنتيجون

كلا ! لن أخلف موعدى . إني حين أفلت منك
يا تيرسياس سأظل وفية للإله . بل يخيل إليّ أنى أخلص
في خدمته حين أتبع والدى أكثر مما أخلص فيها إن
بقيت معك . لقد سمعتك تعلمنى حقائق الإله إلى اليوم ،
ولسكن حظى من التقوى سيعظم ويزداد حين أصغى

لعقلي وقلبي . أى أبت : ضع يدك على كتفى ، فلن يدركنى
ضعف ولا وهن . تستطيع أن تعتمد علىّ . سأزيل الشوك
من طريقك . قل إلى أين تريد أن تذهب ؟

أوديب

لا أدرى . سأذهب أمامى . . . لا ألوى على شىء .
لا وطن لى ولا أسرة . . .

إسمين

إنى كيحزُننى أن أرا كما تذهبان على هذا النحو .
سألبس ثياب الحداد ، وسأدرِككما ممتطية جوادا .

تيرسياس

قبل أن ينطلق أوديب اسمعوا جميعاً لما أوحى إلىّ

الآلهة . إنهم يَعدون أن يمنحوا أعظم بركاتهم للأرض
التي تستقر فيها جثته .

كريون

حسن . . . ! أترى أنك تحسن إن أقمت بيننا؟ نستطيع
أن نتفق .

أوديب

لقد سبقت الكلمة يا كريون . إن نفسي قد فارقت
ثيبا منذ الآن ، وقد تقطع كل ما بيني وبين الماضي من
صلات . لست ملكا ، لست شيئا ، إنما أنا ابن سبيل
لا اسم له ، قد نزل عن ثرائه وعن مجده . بل عن نفسه
أيضا .

الجوقة

أقم معنا يا أوديب . سنُعنى بك . سترى . تذكر أنك
أسديت إلينا فيما مضى من الدهر عوارف كثيرة . لأن
كانت جريمتك قد أحفظت علينا الآلهة ، لقد انتقمت لها
من نفسك انتقاماً عظيماً . فكر في الأعراف عليك من
أبناء ثيبا . فكر في شعبك . ما الذى يعنىك من أمر الذين
لا يعرفونك ؟

أوديب

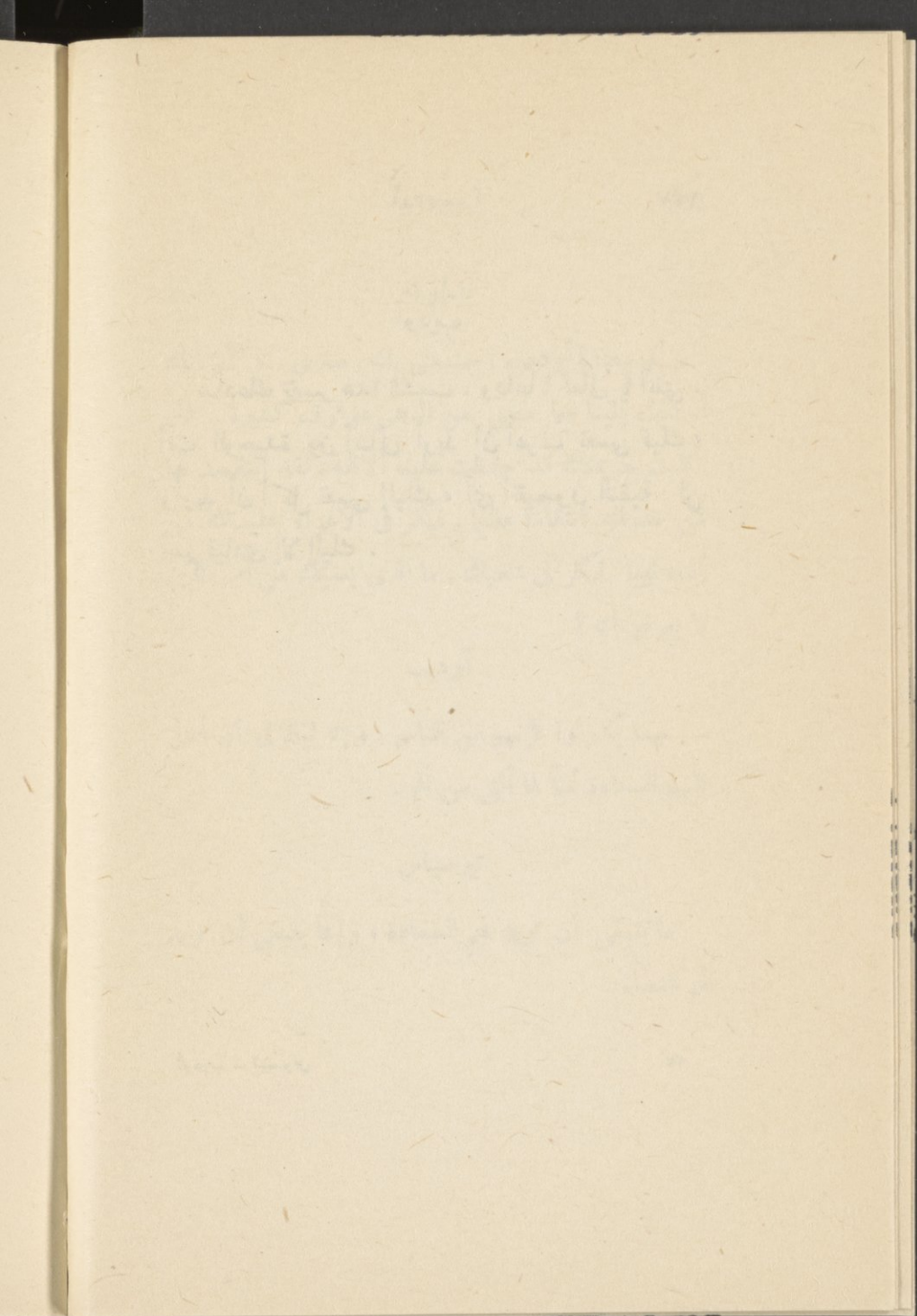
مهما يكونوا فإنهم من الناس . وإنه ليلذلى أن أحمل
إليهم السعادة ثمناً لما ألقى من ألم .

تيرسياس

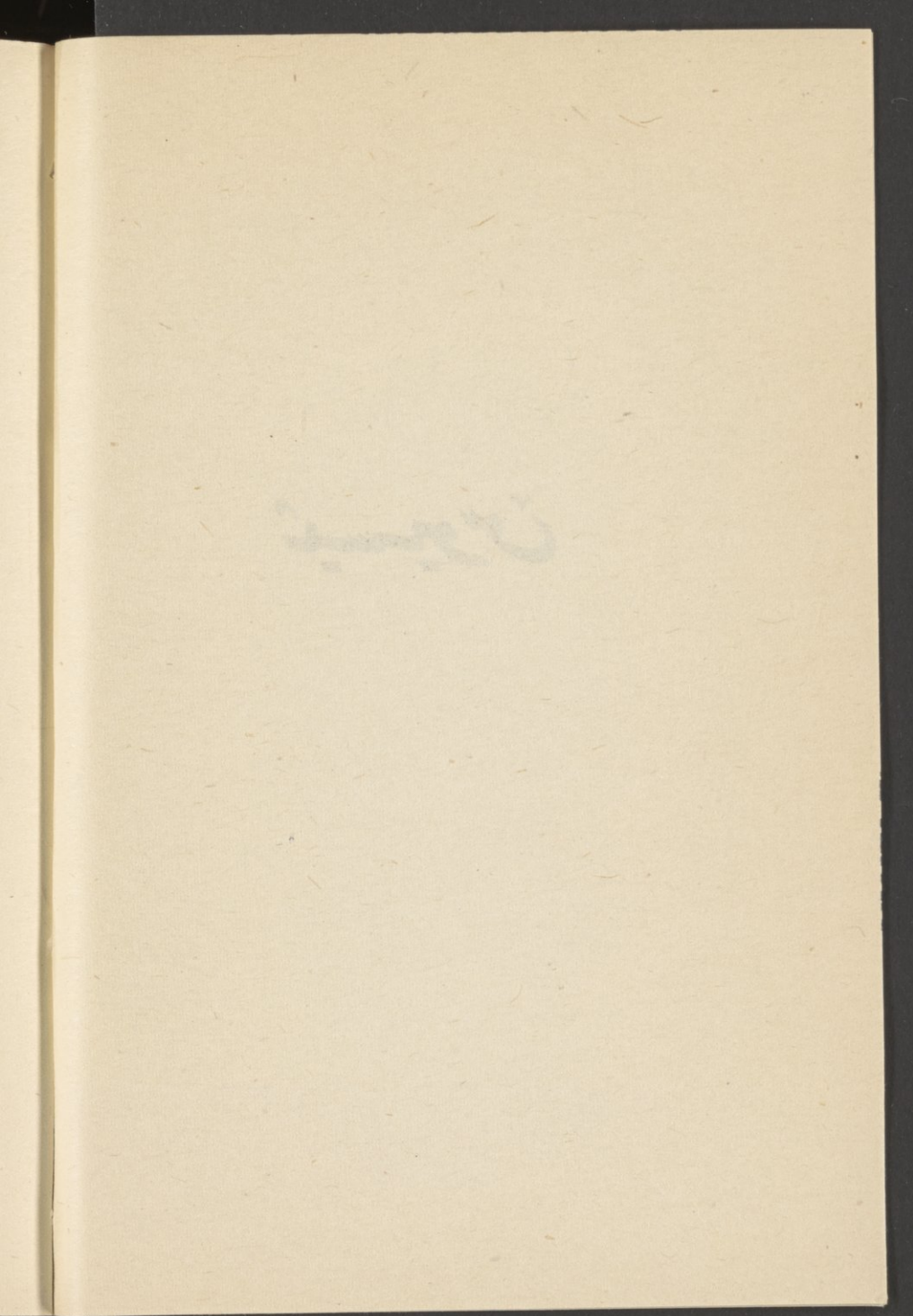
ما ينبغى أن تريد لهم السعادة ، وإنما ينبغى أن تريد
لهم النجاة .

أوديب

سأدعك تفسر هذا للشعب . وداعاً ! تعالى يا ابنتي .
 أنت الوحيدة بين أبنائي أريد أن أعرف نفسي فيك ،
 وأريد أن أكل نفسي إليك ، أي أنتيجون النقية : لن
 أسلم قيادي إلا إليك .



تیسویں



أهدى هذا السفر الأخير إلى

آن هورجون

في غير تكلف

فبفضل ضيافتها الحلوّة ورعايتها المتصلة وعنايتها الدائمة

أستطعت أن آتمه

وأسجل هنا إعترافي بالجميل

لچاك هورجون

ولكل الذين أتاحوا لي أثناء هذا النفي الطويل

أن أعرف قيمة الصداقة وبنوع خاص

لچان أمروش

الذي أحسن تشجيعي على هذا الجهد . ولعل

لم أكن بدونه أجد الليل إلى البدء فيه مع أني

أفكر في كتابه منذ وقت طويل .

Handwritten text, possibly a title or header.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

Handwritten text, possibly a name or date.

لقد كنت أتمنى أن أقصّ حياتي على ابني هيپوليت^(٦)
 لأعظه وأعلمه، ولكن قد قضى. وسأقصّ حياتي مع ذلك.
 وقد كان مما لا سبيل إليه، لو عاش هيپوليت، أن أروى
 بعض حوادث الغرام التي عرضت لي. فقد كان يظهر غلواً
 شديداً في الحياء، ولم أكن أجروء على أن أتحدث أمامه
 عما لقيت من الحب. على أن الحب لم يكن ذا خطر إلا في
 الشطر الأول من حياتي. ولكنه علمني على الأقل أن
 أعرف نفسي بالقياس إلى الوحوش المختلفة التي قهرتها.

فقد كنت أقول لهيوليت: «يجب قبل كل شيء أن يعرف الإنسان من هو، ثم يحسن بعد ذلك أن نستحضر في شعورنا ونأخذ بأيدينا ما ترك لنا من ميراث. وسواء أردت ذلك أم لم ترده، فأنت الآن، كما كنت أنا من قبلك، ابن ملك. لا سبيل إلى اتقاء ذلك. إنه واقع. إنه ملزم.» ولكن هيوليت لم يكن يلتقى إلى ذلك سمعاً. كانت عنايته به أقل من عنايتي حين كنت في سنه، وكان مثلي لا يحفل بأن يعرف من ذلك شيئاً. يا للأعوام الأولى التي نحياها في البراءة والنقاء! نشأة غير مكترثة! لقد كنت الريح وكنت الموج. وكنت نباتاً وكنت طائراً. لم أكن أقف عند نفسي، وكان كل اتصال بيني وبين العالم الخارجي لا يعاينى حدود طاقتي بمقدار ما يوقظ في من ميل إلى اللذات. لقد مسحت بيدي الثمر وقشر الشجر الرخص، والحصى الأملس على ساحل البحر، وشعر الكلاب والخيل

قبل أن ألمس النساء . لقد كنت أثب إلى كل ما كان يقدم
إليّ بان (٧) ، أو ذوس (٨) ، أو تيتيس (٩) ، من جمال .
و ذات يوم قال لي أبي إن الأمور لا تستطيع أن
تمضى على هذا النحو . « لماذا ؟ » لأنى بالطبع كنت
ابنه وكان يجب أن أظهر نفسى كفتى للعرش الذى سارته
عنه ... على حين كنت أرى نفسى سعيداً بالجلوس عارياً على
العشب الرخص أو على الرملة الملتهبة . ومع ذلك لا أستطيع
أن أخطىء أبى ، فقد كان يحسن بإثارة عقلى خصامى . وأنا
مدين لذلك بكل ما أتيح لى من قيمة فيما بعد ، بانقطاعى
عن هذه الحياة المهملة مهما يكن هذا الإهمال لذيذاً رائعاً .
لقد علمنى أن الإنسان لن يظفر بشىء عظيم ولا بشىء
قيم ولا باق إلا إذا بذل الجهد فى سبيله .
وقد بذلت أول جهد مستجيباً لدعائه . كان ذلك حين
كان يدعونى إلى أن أرفع بعض الصخور لأبحث تحتها عن

سلاح كان يزعم لي أن پوسيدون^(١٠) خبأه . وكان يضحك حين كان يرى هذا التمرين يزيد قوتي نموا واشتدادا . وهذا التمرين العضلي كان يصاحب تمرينا للإرادة . وبعد أن رفعت كثيرا من الصخور الثقال حول القصر باحثا في غير طائل أخذت أحاول أن أنزع أحجار عتبة القصر ، هنالك وقفني وقال :

— إن السلاح أقل خطراً من الذراع التي تحمله ، وإن الذراع أقل خطراً من الإرادة العاقلة التي توجهها . هاك السلاح . لم أرد أن أدفعه إليك قبل أن تستحقه . وإني أجد عندك الآن الرغبة في اصطناعه ، وهذا الميل إلى المجد الذي لن يتركك تصطنعه إلا في الأمور النبيلة ذات الخطر وفيما يسعد الناس . لقد انقضى عصر طفولتك ، فسكن رجلا . تعلم أن تبين للناس ما يمكن أن يكون وما يريد أن يكون واحد منهم . إن هناك أمورا جساما يجب أن تتحقق . فحقق نفسك .

كان أبى إيجيه ^(١١) رجلاً كريماً ملاً بكل الملاءمة لما
 يجب أن يكون عليه الرجل من الخصال . وأكاد أتوهم فى
 حقيقة الأمر أنى لست ابنه إلا ظناً . قيل لى هذا ، وقيل
 لى كذلك إن الإله پوسيدون هو الذى ولدنى . فإذا
 صح هذا فقد ورثت عن هذا الإله أخلاقى التى لا تثبت
 على شىء . فلم أستطع أن أثبت على حب امرأة . وكان إيجيه
 يمنعنى من ذلك أحياناً . ولكنى أحمد له وصايته ، وأحمد
 له كذلك أنه رد فى أتىكا كثيراً من الاعتبار والتقدير
 إلى عبادة أفروديت ^(١٢) ، ويجزئنى أنى دفعته إلى الموت بما

اضطرت إليه من هذا النسيان الخطير حين أنسيت أن أرفع على السفينة التي عادت بي من أقریطش^(١٣) شُرْعاً أيضاً مكان شرعها السود ، كما كان قد تم الاتفاق بيننا على ذلك إذا عدت منتصراً من هذه المغامرة الخطرة . وليس الإنسان قادراً على أن يفكر في كل شيء . وفي الحق أنى سألت نفسي — وقالما أسألها — لا أستطيع أن أوكد أنى تركت ذلك عن نسيان ؛ فقد كان إيجيه كما قلت يقوم عقبه بيني وبين الحب ، ولا سيما بعد أن استكشفت له ميديه^(١٤) وسيلة ترده إلى الشباب حين رأته ورأى نفسه هرما يسرع إليه الفناء ، فكان يصدني بأهوائه عن أهوائى ، على حين أن طبيعة الأشياء تقتضى أن يتناوب الناس حضورهم في هذه الحياة . ومهما يكن من شيء فقد عامت حين دخلت أئينا أنه لم يكد يرى الشرع السود حتى قذف بنفسه إلى البحر .

ومن الحقائق أنى أدت إلى الناس خدمات جليلة ،
فقد طهرت الأرض من كثير من الطغاة وقطاع الطرق
والوحوش ، وجبت طرقا خطيرة لم يكن المغامرون يحاولون
سلوكها إلا خائفين ، وصفت السماء حتى أصبح الناس أقل
إحناء للرءوس وأقل خوفا من المفاجآت . . .

ويجب الاعتراف أن مظهر الريف في ذلك الوقت لم
يكن يشعر بأمن أو طمأنينة ؛ فقد كانت تمتد بين القرى
المتناهية مسافات من القفر تقطعها طرق مخوفة . وكانت
هناك غابات كثاف وثنيات ضيقة بين الجبال . وكان أرساد
من قطاع الطرق قد استقروا في الأماكن المريبة ، وجعلوا
يقتلون المسافرين وينهبون ما كانوا يحملون ، ولم يكونوا
يخضعون لرقابة شرطة أو حراس . وكان قطع الطريق
يضاف إلى السطو والسرقة العنيفة وإلى اعتداء الحيوان
المفترس وإلى هذه القوى المنكرة لعناصر الطبيعة

الماكرة، بحيث لم يكن الناس يتبينون حين يرون مغامراً
أصابه مكروه: أكان ضحية لمكر الآلهة أم كان ضحية
لعدوان الناس؟ كما أنهم لم يكونوا يعلمون أكان
هذا الوحش أو ذلك كأبي الهول الذي قهره أوديب
والجورجوني^(١٥) التي قتلها بليروفون^(١٦) صنفاً من الناس
أم صنفاً من الآلهة؟ كل شيء لا يسهل فهمه كان يظن به
أنه من عمل الآلهة، وقد كان الدين مليئاً بالخوف حتى كان
الناس يرون البطولة إثماً وغبوراً. وكان أول الانتصار
الذي ظفر به الإنسان وأعظمه خطراً هو انتصار الإنسان
على الآلهة.

ولم يكن سبيل إلى قهر العدو سواء أكان إنساناً أم
إلهاً إلا أن تظفر بسلاحه وتقهره بهذا السلاح. كذلك
فعلت حين اغتصبت من بيريتيس^(١٧) سلاحه، وكان مارداً
عانياً بعيد الصيت يقيم في مدينة ابيدور^(١٨). وصعقة

ذوس نفسها أوكد أن وقتاً سيأتى يستطيع الناس فيه أن يسخروها لحاجاتهم كما استطاع پرومثيروس (١٩) أن يختلس النار من الآلهة

نعم ! هذه هي الانتصارات الحاسمة . أما بالقياس إلى النساء وهن مصدر قوتى وضعفى فى وقت واحد ، فلم يتح لى انتصار حاسم قط ، وإنما احتجت دائماً إلى استئنان الجهاد . لم أكن أفلت من إحداهن إلا لأقع فى حبال غيرها . ولم أكن أظهر على إحداهن إلا بعد أن تظهر هى على . لقد كان پيريتوس^{٢٠} محققاً حين كان يقول — وما أكثر ما كنا تتفق فى رأى — إنما المهم هو ألا يدع الإنسان نفسه يصبح لعبة لإحداهن ، كما كان هيرقل (٢١) بين ذراعى أمفال (٢٢) . ولما كنت لا أستطيع ولا أريد أن أمتنع على النساء ، فقد كان يقول لى كلما رآنى نهبا للحب « امض ولكن تحول » . أما تلك

التي أرادت أن تحتاط لي فتكافت أن تصل بينها وبينى بنحيط
 أمسكته، ولكنه لم يكن يمتد إلى غير مدى، فهي التي ...
 ولكن الوقت لم يئن للتحدث عن هذه القصة ...
 وكانت أنتيوب^(٢٣) أقربهن إلى امتلاكى . كانت
 ملكة الأمازون^(٢٤)، وكانت كبقية رعيتها الإناث
 عوراء الصدر ليس لها إلا ثدى واحد، ولكن هذا
 لم يكن يعيها . كانت قد مرنت على السباق والصراع،
 وكانت عضلاتها صلاباً غزاراً كعضلات المصارعين من
 فتياننا . جاهدتها . وكانت تضطرب بين ذراعى ، كأنها
 السنور العظيم . فإذا نزع سلاحها جاهدت بالمخالب
 والأسنان ، وكانت تثور حين ترانى أضحك — وكنت
 مثاهم لا سلاح لى — وتثور خاصة لأنها لم تكن تملك أن
 تصرف عنى جها ، لم تتح لى قط امرأة أجمع منها لخصال
 العذراء ولا على بعد ذلك أنها لم ترضع ابناً هيپوليت إلا

من ثدى واحد ، فقد كنت حريصاً على أن يكون هذا
العفيف النافر ولى عهدى . وسأقص فيما بعد ما جعل
حياتى كلها حداداً . فليس يكفى أن يوجد الإنسان ،
ولا أن يكون قد وجد ، وإنما يجب أن يورث ويعمل
بحيث يشعر أن وجوده لم يتم ، وأنه مازال متصلاً محتاجاً
إلى أن يكمل . كذلك كان يعيد على جدى . لقد
كان بيتيه (٢٥) وإيجيه أذكى منى قلباً ، كما أن
بيرتيوس يفضلنى الآن فى الذكاء . ولكن يعرف الناس
فى حسن التقدير فأما سائر خصال الخير فتأتى بعد ذلك
ما دمت لم أفقد قط الإرادة التى تدفعنى إلى الرغبة فى
الإتقان لكل ما أحول . كما أن لى حظاً من شجاعة
بدفعنى إلى محاولة الأمور الجسام . كنت من أشد الشباب
طمعاً ، وكانت المآثر التى تنقل إلى عن ابن خالتي هرقل
زيد شبابى طموحاً وقلقاً ، ولما تركت تريزين (٢٦) وهى

المدينة التي كنت أعيش فيها لألحق في أتيننا بأبي المفروض ،
لم أرد أن أسمع للنصائح التي قدمت إليّ على ما كانت تمتاز
به من سداد . كان يشار عليّ بركوب البحر ، لأن طريق
البحر أشدّ أمناً . ومن أجل هذا الخطر كنت أوثر
طرق البر لأنها بما فيها من التواء كانت تتيح لي ان أظهر
حسن بلائي . وكانت جماعات مختلفة من قطاع الطرق قد
ملأت الأرض فساداً أسرفت في ذلك آمنة منذ أخذ
هيرقل يستأنث عليّ قديمي أومفال . كنت في
السادسة عشرة . وكان الميدان أمامي رحباً ، وكانت نوبتي
قد حلت ، وكان قلبي يتوثب إلى أقصى حدود ما كنت
أجد من فرح ومرح . هنالك صحت : ما حاجتي إلى الأمن
أو إلى طريق قد طهرت من الخوف . وكنت أزدري
الراحة في غير مجد ، كما كنت أزدري الترف والكسل .
وإذن فقد جربت نفسي حين سلكت إلى أتيننا برزخ

بيلوپونيز (٢٧) ، فعرفت قوة ذراعي ، وقوة قلبي ، حين
 قهرت بعض المخوفين من قطاع الطريق : سنيس (٢٨) ،
 بيربتييس ، بروكروست (٢٩) ، چيريون (٣٠) ، (لقد
 أخطأت إنما قهره هيرقل ، أما أنا فقد أردت أن أقول
 سيرسيون (٣١)) ، بل ارتكبت في ذلك الوقت خطأ يسيراً
 حين أسأت إلى سيرون (٣٢) ، وكان فيما يظهر رجلاً
 كريماً حسن النية حسن الرعاية لمن يمر به ، ولكني لم أعلم
 ذلك إلا بعد فوات الوقت ، ومن حيث إني قد ظهرت
 عليه وقتلته فقد تقرر أنه كان مجرماً أثمياً .

وفي طريق إلى أثينا أيضاً لقيت أول ابتسامات الحب
 بين جماعة من نبات الهليون . كانت بيريجون (٣٣) طويلة
 لدنة ، وكنت قد قتلت أباهما ، فكافأتهما بأن منحتهما غلاماً
 رائعاً هو : ميناليب (٣٤) . وقد فقدت الصبي كما فقدت
 أمه لأنني تحولت عنهما ، حريصاً على ألا أتأخر في الطريق .

وكذلك كنت دائماً أقل اشتغالا واتصالا بما عملت ، منى بما
ينبغي أن أعمل . وكنت أرى أن أشد الأشياء خطراً هو
ما أنتظر لا ما أتمت .

ومن هنا لن أطيل الوقوف عند هذه المعدات اليسيرة
التي لم تكدمسنى إلا قليلا . ولكن هأنذا بإزاء مغامرة
رائعة لم يتح مثلها لهيرقل نفسه . فيجب أن أقصها
مفصلة .

إنها قصة معقدة . يجب أن أقول قبل كل شيء إن جزيرة أقریطش كانت قوية . وكان يملك عليها مينوس^(٣٥) وكان يرى أتیکا مسؤولة عن موت ابنه أندروجيه^(٣٦) ، وكان قد فرض علينا ليعاقبنا ضريبة يجب أن نؤديها في كل عام . كان يجب أن تقدم إليه سبعة من الفتيان وسبعاً من الفتيات ليقربوا فيما كان يقال طعاماً للمينوتور^(٣٧) ، وهو الكائن الغريب الذي ولدته پاسيفاييه^(٣٨) زوج ميسوس حين كانت بينها وبين ثور بعض الصلات . وكان هؤلاء الضحايا يختارون من طريق القرعة .

وكنت في هذا العام قد عدت إلى بلاد اليونان . ومع أن الحظ كان خليقاً أن يحميني — فهو يحمي الأمراء عن رضا — فقد ألححت في أن أكون بين الضحايا على رغم ما وجدت من مقاومة الملك والدى . . . فلست في حاجة إلى الامتيازات الموروثة ، ولا أريد أن أمتاز إلا بشجاعتي وبأسي . وكنت أدير في نفسي أني سأقهر المينوتور وأريح اليونان من هذه الضريبة البشعة ، وكنت على ذلك مشوقاً إلى أن أرى أقریطش التي كانت ترسل إلينا في أتیکا بغير انقطاع أشياء جميلة مترفة غريبة . فقد سافرت إذن بعد أن انضمت إلى الثلاثة عشر الآخرين وبينهم صديقي بيريتوس .

وقد ألتقت سفينتنا مرساها ذات صباح من أيام مارس في ضاحية أمينيسوس (٣٩) وهي الميناء القريب بمدينة كنوسوس (٤٠) عاصمة الجزيرة حيث يقيم الملك وحيث

بني قصره . وكان يجب أن نصل من الليل ، ولكن عاصفة شديدة أخرتنا . فلما هبطنا إلى الساحل أحاط بنا أحراس مسلحون ، ثم أخذوا سيفي وسيف صديقي بيريتوس ، واستوثقوا من أننا لا نحمل سلاحاً آخر ، ثم قادونا لتمثل بين يدي الملك الذي أقبل من كنوسوس مع حاشيته . وكانت جماعات ضخمة من الشعب تزدهم لترانا . وكان الرجال جميعاً عراة الصدور والظهور ، وكان مينوس وحده وقد جلس تحت مظلته قد اتخذ رداء أحمر قانيا غير مخيط يتدلى من كتفيه إلى كعبيه في أثناء نغمة . وعلى صدره العريض كأنه صدر ذوس قد انتظمت عقود ثلاثة بعضها فوق بعض . وكثير من أهل الجزيرة يتخذون مثل هذه العقود ولكنها عقود مبتذلة . أما عقود الملك فكانت تأتلف من الجمان وقطع من الذهب قد نقشت عليها أزهار السوسن . وكان يجلس على عرش

تعلقه الفأس المثناة ، واتخذ في يمينه التي قدمها إلى أمام
 مبعداً بينها وبين جسمه صولجانا من الذهب يبلغ قامته
 طولاً ، وأمسك بيده الأخرى زهرة مثلثة الأوراق
 تشبه ما اشتملت عليه عقوده لولا أنها أكبر منها . وهي
 في أكبر الظن من ذهب . وعلى تاجه الذهبي قامت علامة
 ضخمة من ريش الطاوس والنعام والألكيون^(٤١) . وقد
 أطال النظر إلينا بعد أن رحب بنا في جزيرته مجرباً على
 ثغره ابتسامة توشك أن تكون ساخرة ؛ فقد كان يعلم
 أننا إنما أتينا إلى جزيرته مقضياً علينا . وكانت الملكة
 وابنتاها الأميرتان قائمات إلى جانبه . وقد خيل إلى فوراً
 أن كبرى الأميرتين قد لحظتني . وقد هم الأحراس أن
 يقودونا ولكني رأيتها تميل إلى اذن الملك وتقول له في
 صوت خافت باليونانية . وقد سمعتها لأنني دقيق السمع :
 « إني أضرع إليك في أن تبقى على هذا » . تقول ذلك وهي

تشير إلىّ باصبعها . هنالك ابتسم مينوس وأصدر امره
فلم يقدر الحرس إلا رفاقي . ولم أكد أنفرد بين يديه حتى
أخذ في سؤالى .

ومع أنى قد أزمعت أن أصدر عن الحذر الشديد
في كل ما آتى ، وألا أظهر شيئاً من نسبي النبيل ،
ولا من خططى الجريئة ، وقد ظهر لى فجأة أن من الخير
أن ألعب لعباً صريحاً مادامت الأميرة قد التفتت إلىّ ،
وأن شيئاً لن يستطيع أن يصل بينها وبينى ويكفل لى
عطف الملك علىّ كما يستطيع ذلك إعلانى إليهما أنى
حفيد بيتيه . بل قد لمحت بأن الناس يتحدثون فى أتيكا
بأن پوسيدون العظيم قد ولدنى . هنالك قال الملك فى
جد : سنتبين ذلك بعد قليل حين تخضعك لامتحان
الموج . فلم أتردد فى أن أجيب بأنى واثق بأن أخرج
ظافراً من كل امتحان . وقد أظهر سيدات القصر هؤلاء

شيئاً من التأثر حين رأيت ثقتي بنفسى ، وإن كنت لم أر ذلك في وجه مينوس . قال الملك :

- أما الآن فانصرف إلى تجديد قواك . فإن رفاقك ينتظرونك على المسائدة ، ويجب أن تكون محتاجاً كما يقال هنا إلى أن تقيم أودك بعد هذه الليلة الشاقة . خذ حظك من الراحة . وأرجو أن تشهد عند آخر النهار العاباً رسمية ستقام تكريماً لك . ثم نستصحبك أيها الأمير ثيسوس إلى كنوسوس ، حيث تنام في غرفة من غرفات القصر ثم تشاركنا من غد في العشاء . سيكون عشاء يسيراً ، عشاء أسرة ، ترسل فيه نفسك على سجيبتها ويسعد هؤلاء السيدات بأن يسمعنك تحدثن بما قدمت من مآثر وما أحسنت من بلاء . أما الآن فسيأخذن زيتهن استعداداً للحفل . سنلقاتك هناك وستجلس مع رفاقك تحت المقصورة الملكية مباشرة ، ذلك مكان

مقسوم لك لأنك أمير . وسيشرف رفاقك بالجلوس فيه معك ؛ فما أحب أن أفرق بينك وبينهم .

وقد أقيم هذا الحفل في ملعب عظيم في شكل نصف دائرة ينفرج مما يلي البحر . وقد شهدته جمهور ضخم من الرجال والنساء أقبلوا من كنوسوس وليتوس^(٤٢) ، بل جاء بعضهم من جورتين^(٤٣) ، على أنها تبعد عن مكان الحفل نحو مئتي فرسخ ، وجاء بعض الناس من مدن وقرى أخرى مجاورة ، كما جاء آخرون من الريف الذي يقال إنه مكتظ بالسكان . وكان الدهش يأخذني من جميع حواسي ، ولم أكن أستطيع أن أصور إلى أى حد كنت أرى أهل الجزيرة غرباء . ولما لم يكن يتاح لهم جميعاً أن يتخذوا مجالس في المدرج ، فقد كانوا يزدحمون ويتدافعون في المسارب وعلى درجات السلم . وكانت جماعة النساء ضخمة كجماعة الرجال ، وكن عاريات الصدور والظهور ، وقليل منهن

كن يتخذن القراطق قد انفرجت عن صدورهن انفرجاً
 واسعاً رأيته مخالفاً للحياء لما كان يظهر من أنداكن .
 وكانوا جميعاً رجالاً ونساء قد اتخذوا مناطق شدوها
 شداً عنيفاً على أوساطهم ، فبدت خصورهم غاية في الضآلة
 والنحول كأنها المرامل . وكان الرجال سمرّاً قد اتخذوا في
 أيديهم وسواعدهم وأعناقهم من الخواتم والأساور والعقود
 مثل ما اتخذ النساء . وكانت كثيرتهن تمتاز ببياض
 البشرة ؛ وكانت الوجوه كلها حليقة لا يستثنى من
 ذلك إلا وجه الملك ووجه أخيه رادامنت (٤٤) ووجه
 صديقه سيد (٤٥) . وكان سيدات القصر قد اتخذن
 أماكنهن في المقصورة التي أجلسنا تحتها وقد عرضن زينة
 رائعة مترفة من الثياب والحلى ، وأشرفن على ميدان اللعب .
 وكانت كل واحدة منهن قد أحاطت خصرها بثوب ألحقت
 به قطع عراض من النسيج ، فهو منتفش في صورة رائعة

مما يلي الخصر ، تم هو يتدلى في منظر جميل محتاط حتى
 يبلغ الأقدام التي حبت في أحذية من الجلد الأبيض ،
 وكانت الملكة في وسط المقصورة تمتاز منهن جميعاً بزينة
 الفخمة . قد عرى صدرها وذراعاها . وقد فصلت على
 ثديها العظيمين ضروب الجواهر من اللؤلؤ والمينا
 والأحجار النفيسة . وقد أحيط وجهها بخصل طويلة
 سود ، ورصفت على جبهتها خصيلات دقاق . وكانت
 شرهة الشفتين ، منقبضة الأنف ، كبيرة العينين فارغتهما
 ترسل منهما نظرات توشك أن تشبه نظرات الصوار . وقد
 اتخذت شيئاً يشبه أن يكون تاجاً من الذهب لم تضعه
 على شعرها مباشرة ، وإنما وضعته على قلنسوة قائمة غريبة
 تشير الضحك ، وهي تنفذ من التاج وتنتهى بطرف مرتفع
 محدد ينعطف إلى الأمام كأنه القرن قد انحنى على جبهتها .
 وكان قرطها المفتوح من امام إلى منطقتها يرقى على

ظهرها حتى يبلغ العنق ، فيحاول أن يحيطه ببنيقة شديدة
 الاقتراج . وكان ثوبها النصفى المنتشر من حولها يعرض
 للإعجاب على بياضه المشرب بالصفرة ضروباً من الطراز
 بعضها دون بعض ، منها ما يصور السوسن الأرجواني ،
 ومنها ما يصور الزعفران ، وأسفلها يصور زهرات
 البنفسج وقد أحاطت بها أوراقها الخضراء . ولما كنت
 تحت مقصورتها كنت أراها من قريب جداً كلما التفتت
 إلى وراء . وكنت أفتن بحسن اختيار الألوان وجمال
 الطراز ودقة العمل وبلوغه حد الكمال .

وكانت أريان^(٤٦) ابنتها الكبرى قد جلست عن يمين
 أمها مشرفة على اللعب ، وقد اتخذت زينة أقل فخامة من
 زينة الملكة ، واتخذت ثوبها من لون آخر ؛ فلم يكن
 ثوبها النصفى ولا ثوب أختها يميلان إلا صفيين من الطراز
 فأما الصف الأعلى فكان يرسم كلاباً ومهياً ، وأما الصف

الأسفل فكان يرسم كلاباً وحجلاً. أما فيدر^(٣٧) فكان واضحاً أنها أصغر من أختها سنّاً، وقد جلست عن يسار أمها باسيفاييه ورسم الصف الأعلى من طراز ثوبها أطفالا يعدون وراء الأطواق، كما رسم الصف الأسفل أطفالا صغاراً قد انحنوا يلعبون بالحصباء. وكانت تنعم بمنظر اللعب في طفولة ظاهرة. وكنت أنا لا أتبع اللعب إلا قليلاً، قد أخرجني عن طورى كل هذه الأشياء التي لا عهد لي بمثلها. ولكنى كنت شديد الدهش بما كنت أرى من مرونة اللاعبين ورشاقتهم وسرعتهم حين كانوا يغامرون بالظهور على الميدان بعد أن تتركه لهم جماعات الغناء والرقص والصراع. وإذ كنت أتهيباً لمواجهة المينوتور فقد كنت حريصاً على أن أنتفع بما كنت أرى من مكرهم وتسللهم لعلى أستعين بشئ من ذلك على إجهاد الثور وإذها.

Faint, illegible text, possibly bleed-through from the reverse side of the page.

ولما قدمت أريان الجائزة لآخر الفائزين نهض مينوس
مؤذنا بانتهاؤ الحفل ، ودعاني وحيدا للقائه وقد وقف
يحيط به الحرس .

فلمأ صرت بين يديه قال لى :

— سأقودك أيها الامير ثيسوس الآن إلى ساحل
البحر وأمتحنك هناك لنتبين أنك فى الحق من ولد
بوسيدون .

ثم قادنى إلى صخرة ترتفع متقدمة إلى البحر ويلطم
الموج أسفلها . وقال لى :

— سألتني تاجي في البحر لأبين لك أني واثق بأنك
سترده إليّ .

وكانت الملكة والاميرتان قد رغبتا في شهود
الامتحان ، فشجعني ذلك واندفعت أقول معترضاً :
— أكلب أنا لأرد شيئاً إلى صاحبه ، وإن كان هذا
الشيء تاجاً ! دعني أغص في البحر لغير غاية ، ولك أن آتيك
بما يدلك على أني قد أحسنت الغوص .

ودفعت الجراءة إلى أبعد من هذا . فقد مرت نسمة
قوية بعض الشيء ، فزعت عن كتف الأميرة أريان طرحة
وحملتها نحوى ، فلم ألبث أن التفتها مبتسماً كأن الأميرة
أولها من الآلهة قد قدمها إليّ . ثم خرجت من الصدارة
التي كانت تشل حركتي وأحطت خصرى بهذه الطرحة ممراً
طرفها بين نغذي ، ثم آخذاً له إلى أمام حتى أثبتته عند
الخصر ، أخيّل بذلك أن الحياء هو الذي يدفعني إلى هذا

الصنيع لأستر من جسمي مالا ينبغي أن يرى ، ولكني في حقيقة الأمر إنما أردت أن أخفي منطقة من الجلد كنت قد استبقيتها ، وكنت قد علقت بهذه المنطقة كيسا صغيراً من الجلد . ولم أكن قد أحرزت في هذا الكيس شيئاً من النقد ، وإنما أحرزت فيه طائفة من الأحجار الكريمة اصطحبتها من بلاد اليونان ثقة مني بأن الأحجار الكريمة تحتفظ بقيمتها في كل مكان .

ثم تنفست تنفساً عميقاً ، واندفعت إلى البحر فغصت فيه . غصت فيه ممعنا في الغوص وكنت في ذلك ماهاً ، ثم لم أطفُ على سطح الماء إلا بعد أن استخرجت من الكيس ثلاثة أحجار من نفيس الجوهر أحدها من عقيق الجزع والآخران من العقيق الأخضر ، فلما بلغت الساحل قدمت في ظرف إلى الملكة عقيق الجزع وإلى كل من الأميرتين حجراً آخر ، مظهراً أني قد استخرجتها من

القاع ، بل مظهراً أن يوسيدون قد قدمها إلى لآهديها إلى هؤلاء السيدات . ولم يكن بد من هذه الحيلة ، فلم يكن من السائع أن توجد في أعماق البحر عند جزيرة أقریطش هذه الأحجار النادرة في بلادنا ، فضلا عن أن أجد الوقت لتخيرها تحت الماء . وكان هذا أدل من الامتحان نفسه على أنى من نسل إلهى .

هنالك رد مينوس إلى سيفى .

ثم حملتنا العربات بعد قليل إلى كنوسوس .

وكنت مجهوداً قد بلغ بي الإعياء أقصاه ، حتى لم
 أدهش لهذا الفناء العظيم المنبسط أمام القصر ولهذا السلم
 الضخم ذى العمدة الدقاق ، وهذه الدهاليز المتتوية التي
 كان يقودني فيها خدام خفاف يسعون بين يديّ بالمشاعل
 حتى انتهوا بي إلى الغرفة التي هيئت لي في الطابق الثاني
 والتي كانت تضيئها جماعة من المصابيح . فلم أكد أدخلها
 حتى أطفئت كلها إلا واحداً . وعلى مضجع وثير عطر
 غرقت منذ تركوني في نوم عميق حتى كان المساء من غد ،

ومع ذلك فقد نمت في العربة نوما طويلا ، فلم نصل إلى كنوسوس إلا حين أسفر الصبح ، وبعد سفر أنفقنا فيه الليل كله . ولست آلف العربة ، فلم ألبث أن لاحظت في قصر مينوس أنى يونانى وأحسست انى غريب . وكنت أدهش لكل ما ليس لى به عهد من الأزياء والعادات ، وما يتخذ الناس في سيرتهم من الصور والحركات والآثاث (وكان الآثاث في قصر أبى قليلا ضئيلا) كما كنت أدهش للأدوات وطرق استعمالها . كنت أرى نفسى متوحشا بين هذا الترف الرقيق ، وكان خطي يزداد كلما دعا إلى الابتسام ، وقد كنت متعودا أن أتناول الطعام بغير أداة ، أحمله إلى فمى بأصابعى ، وكنت أجدهذه الشوك المعدنية أو الذهبية المنقوشة وهذه السكاكين أثقل تصريفاً على حين أجلس إلى المائدة من السلاح حين كنت أصرقه في الميدان . وكانت النظرات توجه إلى وتثبت فيّ ، وكنت أمعن في

الخطأ حين كنت أشارك في الحديث . يا لالهة ! لقد كنت أجد نفسي في غير موضعي . وأنا الذي لم يحسن قط شيئاً إلا أثناء الوحدة ، أصبحت أراني أشارك في حياة اجتماعية . ولم يكن المهم أن أجاهد وأن آتخذ القوة وسيلة إلى الفوز ، وإنما كان المهم أن أعجب ، وكنت قليل العلم بوسائل ذلك إلى حد بعيد .

وقد أجلست إلى مائدة العشاء بين الأميرتين ، وكان العشاء فيما قيل بسيطاً ، عشاء أسرة لا تكلف فيه . والواقع أن أحداً لم يشهده إلا الملك والملكة ، ورادامانت أخو الملك والأميرتان وأخوهما الصبي جاكوكوس^(٤٨) ومربيه اليوناني الكورنثي الذي لم يُعَنَ أحد بتقديمه إلى .

وقد دعيت إلى أن أقص في لغتي (التي كان أهل القصر يفهمونها ويتكلمونها على أحسن وجه مع شيء قليل من

انحرف اللسان) ما كان يسمى حسن بلائي . وقد سرني أن رأيت الأميرة الفتاة فيدر وأخاها جلوكوس يضحكان حين كنت أقص تمثيل بروكروست بضحاياه وإخضاعى إياه لنفس المثلة حين كنت أقطع من أطرافه ما كان يتجاوز مضجعه . ولكنهم تجنبوا من شيء من الرقة أن يшиروا إلى المهمة التي جاءت بي إلى أقریطش ، ولم ينظروا إلى إلا على أنى مسافر ضيف .

ولم تنقطع أريان طوال العشاء عن مداعبة ركبتى بركبتها تحت غطاء المائدة ، ولكن الحرارة التي كانت تنبعث من فيدر الفتاة هي التي كانت تشيع في القلق ، على حين كانت باسيفاييه الملكة جالسة أمامى تزدردنى بلحظها ازدراداً ، وكان مينوس إلى جانبها يحتفظ على ثغره بابتسامة صافية لا تعرف الكدر . أما رادامانت ذو اللحية الطويلة الشقراء ، فقد كان وحده يظهر شيئاً

من العبوس . وقد انصرف الملك وأخوه عن غرفة المائدة بعد الصنف الرابع لأنهما كانا مضطربين فيما كانا يقولان إلى الجلوس للقضاء . ولم أفهم إلا أخيراً معنى ما كانا يريدان . لم أكن قد برئت بعد من ألم البحر ، وقد أكلت كثيراً وشربت أكثر مما أكلت ألواناً مختلفة من الحمر وفنوناً أخرى من الأشربة ، بحيث لم يمض إلا وقت قصير حتى دارت بي الأرض وأنكرت نفسى ؛ فلم أعود من قبل أن أشرب غير الماء أو النبيذ المقتول . ولما كدت أفقد الصواب وكنت محتفظاً بفضل من قوة يمكنى من النهوض ، استأذنت في الخروج . هنالك قادتني الملكة إلى حمام صغير متصل بمنزلها من القصر . فلما تخففت مما كان يثقلنى بقاء غزير لحقت بها فى غرفتها فأجلستنى إلى جانبها على فراش وثير وأخذت تتحدث إلى . قالت :

— أى صديقى الشاب . . . أتأذن فى أن أدعوك

بهذا الدعاء لننتفع مسرعين بهذه اللحظة القصيرة التي يخلو فيها كلانا إلى صاحبه ! لست كما تظن ولست أريد شخصك بريبة على ما أتيج لك من جمال وفتنة .

وعلى إلحاحها في أنها لم تكن تتجه إلا إلى نفسي أو إلى شيء لا أعرفه في أعماق ضميري ، لم تر بأساً بأن ترفع يدها إلى جبهتي . ثم تدسها من دون صدارتي الجلدية متحسسة عضلات صدرى كأنها تريد أن تثبت من محضرى . قالت :

— لست أجهل ما جاء بك إلى هذه الجزيرة ، وأريد أن أتقى خطأ . فقد أقبلت مزمعاً القتل . أقبلت تريد أن تصارع ابني . ولست أعلم بماذا حدثت من أمره ، وليس يعينني أن أعلم . آه لا تصم أذنيك عما يوجه إليك قلبي من دعاء . ليكن المينوتور هو الوحش الذي صور لك أو لا يكن ، فإنه ابني .

وهنا رأيت من حسن الذوق أن أقول إنى أحب
 الوحوش ! ولكنها مضت فى حديثها دون أن تسمع لى :
 — افهم عنى ! إنى أضرع إليك ! إن لى طبيعة
 متصوفة تحب بل لا تحب إلا ما يتصل بالآلهة . والشىء
 الذى يفيظ هو أننا لا نعلم أين يتسدىء الإله ولا
 أين ينتهى . وقد أطلت عشرة قريبتى ليدا^(٤٩) ومن
 أجلها اتخذ الإله صورة بجمعة . وقد فهم مينوس طمعى
 فى أن ألدله وارثاً من أبناء الآلهة . ولكن كيف السبيل
 الى أن نميز ما يبقى من الحيوان فيما يلقى الآلهة أنفسهم فى
 الأرحام ؟ وإذا كان قد كتب على أن أندم على خطئى
 — وأنا أشعر بأن تحدثنى إليك على هذا النحو يسلب
 الأمر كل عظمتة — فإنى أوكد لك أى ثيسوس أن
 الأمر كان إلهياً حقاً فى اللحظة نفسها . فقد ينبغى أن
 تعلم أن ثورى لم يكن حيواناً عادياً . كان بوسيدون قد

قدمه إلينا . كان يجب أن نرده إليه قرباناً ، ولكن مينوس
 رآه أجمل وأروع من أن يضحى به . وهذا هو الذى
 حملنى فيما بعد على أن أفسر زلتى بأنها كانت انتقاماً من
 الإله . وأنت لاتجهل أن حماى أوروبا^(٥٠) قد اختطفها
 ثور تقمصه ذوس . ومن زواجها بهذا الثور ولد مينوس
 نفسه . وهذا هو الذى حمل أسرته على أن تعظم أمر
 الثيرة . فلما ولد المينوتور ورأيت الملك يقطب حاجبيه
 لم يكن لى إلا أن أقول له : وأملك ما خطبها ؟ وكان من
 الحق عليه أن يفهم أن من الممكن أن أكون قد أخطأت
 وهو رجل حكيم ، وهو يعتقد أن ذوس قد ولاه مع أخيه
 رادامانت القضاء فى دار الموتى . وهو يرى أن من الحق
 أن يفهم الإنسان قبل أن يقضى ويقدر أنه لن يكون
 قاضياً عدلاً إلا بعد أن يمتحن فى نفسه أو فى أسرته بكل
 ألوان المحن . وفى هذا تشجيع عظيم لذوى قرابته ،

فأبناؤه وأنا، على ما يكون بيننا من اختلاف الأمزجة والأهواء، نعمل بأغلاطنا الخاصة لنحسن إعداده لمنصبه المنتظر. والمينوتور نفسه يشارك في ذلك عن غير علم. ومن أجل ذلك أطلب إليك يا ثيسوس، بل أتوسل إليك لا في ألا تسوءه بل في أن تصالحه وتتفق معه على نحو يحو الخصومة بين اليونان وأقريطش، ويزيل آثارها المنكرة في البلدين.

كذلك كانت تتحدث معاملة يدها في إلحاح من دون صدارتي حتى ضقت بذلك أشد الضيق؛ فقد كنت متأثراً ببخار النيبذ وبهذا العطر الأرج الذي كان يفلت مع تديها من قرطقتها المفتوح. قالت:

— لنعد إلى الأمر الإلهي؛ فقد يجب دائماً أن نعود إليه. وكيف لا تشعر يا ثيسوس بأن إلهاً قد تقمصك؟ ...

وكان مما يزيد نفسى ضيقا أن أريان ذات الجمال الرائع
الفاثن — وإن كنت أوثر أختها الصغرى — كانت قد
واعدتنى باللحظ واللفظ على أن نلتقى فى الحديقة بعد
أن أفيق .

أى حديقة ! ولأى قصر ! يا لها جنة مشوقة قد تعلققت
بانتظار شىء لا أدرى ما هو . . . تحت ضوء القمر . كان
ذلك فى شهر مارس ، وكان الربيع قد أخذ يخفق فى دفء
حلو . ولم أكد ألقى الهواء الطلق حتى انجلى عنى كل ضيق .
فلست آلف الحياة فى أعماق الدور ، وإنما أوثر أن أتنفس
ملء رئتى . وقد أسرعرت إلى أريان ثم ألصقت فى لهفة
وعنف شفيتها إلى شفتى حتى كدنا نسقط جميعا . قالت :
— هلم . لا على أن يرانا الرءاون . ولكن ظل
الضرم أوفق للحديث .

ثم هبطت بي درجات وقادتني إلى مكان من الحديقة
يشتهد فيه النفاق الشجر حتى يخفي القمر دون أن يخفي
انعكاس ضوءه على البحر ، وكانت قد استبدلت من ثوبها
النصفي ذي الأطواق ومن منطقتها الصلبة ثوباً واسعاً
فضفاضاً كانت تُحس من دونه عارية . قالت :

— أ كاد أعرف ما تحدثت إليك به أمي . إنها
مجنونة . مجنونة تستحق القيد ، وما ينبغي أن تحفل بما
تقول . فاعلم أولاً أنك معرض هنا لخطر عظيم . فأنا أعلم
أنك أقبلت لتصارع المينتور أخي لامي ، وإنما أريد
منفعتك ، فأحسن الإصغاء إلي . وأنا واثقة بأنك
ستظهر عليه ،

فراك يثبت أن فو زك واقع لاشك فيه

أست ترى أن هذه الجملة تزن بيتاً جميلاً من

الشعر؟ الست رقيق الحس؟ ولكن أحداً قبلك لم يستطع الخروج من اللايرنت^(٥١) داره التي يسكنها ولن تستطيع أنت أن تخرج من هذه الدار إلا أن أعينك أنا، أنا خليلتك، أنا التي ستصبح خليلتك. ليس من اليسير أن ترسم لنفسك صورة مقارنة للآيرنت. سأقدمك إذا كان الغد إلى ديدال وسيصفها لك. فهو الذي بناها وهو نفسه لا يستطيع الآن أن يهتدى فيها إلى طريقه. وسينبتك كيف ضل فيها ابنه إيكار^(٥٢) حتى لم يستطع أن ينجو منها إلا طائراً في الهواء بجناحين. ولكني لا أجرؤ على أن أشير عليك بالطيران فإنه مغامرة خطيرة. والشئ الذي يجب أن تفهمه منذ الآن هو أن أملك الوحيد في النجاة رهين بالأتركي. لقد توثقت بينك وبينى منذ الآن صلة لا تنفصم ولا ينبغي أن تنفصم بحياة أو موت. لن تجد نفسك إلا بمعونتي إلا لي،

إلا في . هذا شيء يجب أن تأخذه أو تدعه ليس لك
من دون ذلك خيار ، فإذا تركتني فالويل لك . وإذن
فهيت لك .

ثم أقبلت على غير حافلة بشيء واستسلمت لي محتفظة
بي بين ذراعيها حتى أسفر الصبح .

ويجب أن أعترف بأن وقت هذا اللهو قد طال على .
فلم أحب قط الإقامة حتى في ظلال النعيم ، وإنما أنا
مشغوف بالتنقل متى ذهب عني جدة ما ألتى من الأمر .
ثم جعلت تقول : « لقد وعدتني » . ولم أكن قد وعدت
بشيء ، وإنما كنت حريصا على أن أستبق حريتي فلست
مدينة بنفسى إلا لنفسى .

ومع أن قوتي على الملاحظة كانت لا تزال مغطاة
ببخار السكر ، فقد خيل إلي أنها استسلمت في يسر حتى لم
أعتقد أنى كنت السابق إلى رضاها . وهذه الملاحظة هي

التي طوّعت لي فيما بعد أن أتخلص من أريان . وفوق ذلك فما أسرع ما ضقت بإسرافها في تكلف الرقة ! ضقت بإلحاحها في تأكيد حبها الأبدى ، وبهذه الأسماء الحلوة التي كانت تدعوني بها . فقد كنت مرة متاعها الوحيد ، ومرة كنتارها ، ومرة كليتها ومرة صقيرها ومرة قصيبتها ولست أبغض شيئاً كما أبغض هذه الألفاظ المصغرة . ثم إنها كانت مشغوفة بالأدب . فقد كانت تقول لي : « أي قلبي الصغير ، سيدبل زهر السوسن عما قريب . » على حين أن هذا الزهر كان قد بدأ يتفتح . وأنا أعلم أن كل شيء يمتضى ، ولكني لا أحفل إلا بالساعة الحاضرة . وكانت تقول لي أيضا : « لن أستطيع أن أعيش بدونك . » وكان هذا يدفعني على ألا أفكر إلا في أن أعيش بدونها . وقد سألتها :

— ما عسى أن يقول أبوك المثلك إن عرف هذا؟

فأجابت :

— تعلم أيها الحبيب أن مينوس يحتمل كل شيء ، فهو يرى أن أحكم الحكمة أن يقبل الإنسان ما لا يستطيع له ردا . لم ينكر شيئاً حين عرف مغامرة أمي مع الثور ، وإنما زعم — كما حدثتني أمي — أنه لا يستطيع أن يمضى في محاورتها . ثم أضاف : « قد كان ما كان ، وليس إلى استدراكه من سبيل . » وسيقول هذا القول نفسه بالقياس إلينا . وأقصى ما في الأمر أن يطردك من قصره . وأي بأس بهذا سأتبعك حيثما تكون .

وكنت أقول في نفسي : سنرى !

وبعد أن أخذنا بحظنا من طعام يسير ، سألتها أن تصحبني إلى ديدال ، وأنبأتها بأني أريد أن أخو إليه وأدير معه الحديث ؛ ولم تتركني إلا بعد أن أقسمت لها باسم بوسيدون على أني سألقاها في القصر بعد قليل .

لقد نهض ديدال لاستقباله حين فاجأته في حجرته
المظلمة مقبلا على لويحات من الرصاص أمامه قد انتثرت
من حولها أدوات غريبة . وهو رجل طوال ، لم تنحن
قامته على تقدم سنه ، وهو يحمل حية أطول من حية مينوس
وكانت سوداء ، على حين كانت حية رادامونت شقراء ،
أما حية ديدال فكانت مفضضة . وجهته العريضة تشقها
أخاديد أفقية ، وحاجباه المختلطان يكادان يحجبان نظراته
حين يخفض رأسه . وهو طويل الحديث عميق الصوت .
ويفهم محدثه أنه حين يصمت ، فإنما يفعل ذلك ليفكر .

وقد بدا فأثني على حسن بلائي الذي وصلت أخباره إليه ، فيما قال ، على اعتزاله وانقطاعه عن الناس . وأضاف إلى ذلك أني أبدو له أبله بعض الشيء ، وأنه لا يقدر حسن اصطناع السلاح ولا يرى أن قيمة الإنسان في قوة ذراعيه . قال :

— وقد رأيت قديماً سلفك هيرقل ، وكان أبله لا يستطيع أن يعطى شيئاً غير البطولة . وإنما أحببت منه ما أحب منك هذا الإقدام على غاية في غير تردد ولا تراجع ، بل هذا التهور الذي يدفعك إلى أمام ويظهر كما على العدو بعد أن ينصر كما على ما في نفوسنا جميعاً من الجبن . وكان هيرقل أشد منك مباشرة وأحرص منك على الاعتقان ، حزينا بعض الشيء ، ولا سيما بعد أن يتم عمله . أما ما أحب منك فهو هذا الابتهاج الذي يميزك من هيرقل . ويعجبني منك أنك لا تريد أن تعوق نفسك

بالتفكير ؛ فالتفكير حظ قوم آخرين لا يعملون ولكنهم
ينشئون للعاملين ما يدفعهم إلى العمل .

أعلم أن بيننا نسبا ، وأنى — لا تُعبدُ ذلك على
مينوس ؛ فهو لا يعرف من ذلك شيئاً — أنى يونانى ؟
وقد أسفت حين اضطرت إلى ترك أتیکا في أثر خصومة
شجرت بينى وبين ابن أخى تالوس^(٥٣) وكان مثالا مثلى
منافسا لى ، وكان قد ظفر بإيثار الشعب لأنه كان يحتفظ
للآلهة بشيء من المهابة الرهيبة ، يتوسل إلى ذلك
بإمسك تماثيلهم بمناطق ضيقة تأخذ أجسامهم من أسفلها
فتمنعهم من الحركة على حين كنت أنا أطلق أعضائهم
فأقربهم منا ، حتى تجدد بفضل ذلك التجاور بين الأولمب
والأرض ، وكنت من جهة أخرى أحاول أن أتخذ العلم
وسيلة إلى أن يصبح الناس أشباها للآلهة .

فقد كنت في سنك ، حريصاً قبل كل شيء على أن

أتعلم ، وما أسرع ما أستيقنت بأن قوة الإنسان لا تغنى
أو لا تكاد تغنى عنه شيئاً إلا إذا أعانتها الآلهة ، وأن
المثل الذى يقول : « إن الأداة أجدى من القوة » لم يكن
مخطئاً . وما كنت لتقهر قطاع الطرق فى البولونيز أو
فى أتيكا لو لم تعنك على ذلك الأسلحة التى وعدك بها
أبوك . وكذلك فكرت فى أنى لن أغنى شيئاً إذا لم أجد
ما أصطنع من أداة ، وأن سبيل ذلك هو أن أتقن
الحساب والميكانيكا والهندسة ، كما يتقنها المصريون على
الأقل ، فهم ينتفعون بها انتفاعاً عظيماً ، ثم فكرت فى
أنى لن أنتفع بهذه العلوم فى الحياة التطبيقية إلا إذا
تعرفت خصائص الأجسام ومميزاتها ، حتى الأجسام التى
لا يظهر أننا فى حاجة عاجلة إلى استخدامها . فقد
يستكشف فى هذه الأجسام كثير من المزايا لم يكن
نتوهمها من قبل ، شأنها فى ذلك شأن الناس أنفسهم .

وكذلك أخذ حظي من المعرفة يتسع ويقوى .
ثم أردت أن أعرف مهناً وصناعات وأقاليم ونباتات
أخرى ، فزرت بلاداً بعيدة تلمذت فيها لعلماء أجانب ، لم
أفارق أحداً منهم إلا بعد أن استقصيت ما كان عنده من
العلم . ولكني بقيت يونانياً حينما ذهبت وحينما أقيمت ،
ومن هنا عنيت بك أيها النسيب لأنك يوناني .

فلما رجعت إلى أقریطش تحدثت إلى مينوس عن
أسفاري ودراساتي ، ثم أفضيت إليه بشيء كنت أزمعته
وسألته أن يعينني على تحقيقه ، فيقدم إليّ ما يحتاج إليه
من مال وأداة ، وهو أن أبني وأنظم إلى جانب قصره
داراً تشبه اللايرنت الذي رأيته وأعجبت به في مصر على
شأنه بحيرة ميرييس^(١) على اختلاف في الرسم . في ذلك
الوقت كان مينوس محرّجاً فقد ولدت له الملكة هذا
الوحش الذي يسمى المينوتور ، وكان الملك يود لو

استطاع أن يخفي هذا الكائن الغريب على أعين الناس .
 فتقدم إلىَّ في أن أقيم له بناء تحيط به حدائق غير
 مسورة ، ولكنه مع ذلك يمك المينوتور في غير سجن
 دون أن يستطيع الخروج منه ، فأفقت في ذلك ما كنت
 أملك من عناية ودراية .

وقد قدرت أن ليس هناك سجن يستطيع أن يمتنع
 على رغبة السجين في الفرار ، وأن ليس هناك أسوار ولا
 خنادق تستعصى على الجراءة والعزم ، فرأيت — وأرجو
 أن تحسن الفهم عني — أن الخير أن أقيم البناء وأنظمه
 بحيث لا يكون معجزاً لساكنة عن الهرب بل مانعاً له
 من التفكير في الهرب . فجمعت في هذا البناء ما يستجيب
 لشهوات الإنسان على اختلافها . وليست شهوات
 المينوتور كثيرة ولا شديدة الاختلاف ، ولكن كان على
 أن أفكر في الناس جميعاً وفي كل من يقضى عليه أن

يدخل اللابيرنت . وكان يجب أيضاً بل قبل كل شيء أن
 أضعف إرادتهم . ومن أجل ذلك ركبت ألواناً من
 العقاقير يمزج فيما يدار عليهم من نبيذ . ولكن هذا
 كله لم يكن كافياً ، فوجدت أكثر منه . وكنت قد
 لاحظت أن هناك ألواناً من النباتات إذا ألقيت في النار
 أثارت وهي تحترق دخاناً مخدراً بعض الشيء ، فرأيت أنها
 عظيمة النفع فيما كنت أحاول من الأمر ، وقد استجابت
 بالضبط لما دعوتها إليه ، فاتخذت مواعد لا تخمد نارها
 في ليل أو نهار وغذوتها بهذه النباتات . والأبخره التي
 تصعد منها لا تنمى الإرادة وحدها ، ولكنها تشيع سكرًا
 خلافاً ، وتدفع إلى فنون من الخطأ المغرى ، وإلى ضروب
 من النشاط الفارغ تصدر عن رؤس قد شملها الذهول
 وعبث بها الشراب . ضروب من النشاط الفارغ ، لأنها
 لا تنتهى إلى شيء إلا أن يكون وهما ، ولا تثير إلا

مناظر لا تثبت ، لا تنتهي إلى غاية ولا تعتمد على منطق .
وتأثير هذه الأبخرة ليس متفقاً بالقياس إلى الذين
يخضعون له جميعاً ، وإنما هو يختلف باختلافها وينشأ عنه
اختلاط غريب يجعل لكل واحد لايرنته الخاص . وقد
كان اختلاط ابني إيكار فلسفياً يرقى إلى ما بعد الطبيعة .
أما أنا فأرى أبنية ضخمة وجمعاً من القصور المترامية
تختلط فيها السلام والدهاليز . . . بحيث انتهى هذا كله في
تخليط ابني إلى مازق تتبعه خطوة غامضة إلى أمام .
ولكن أشد من هذا كله غرابة أن هذه العطور إذا
استنشقتها الإنسان حيناً لم يستطع أن يستغنى عنها ؛ لأن
الجسم والعقل قد اتخذ منها متاعاً لا قيمة بإزائه للحياة
الواقعة ولا رغبة في العودة إليها ، وإنما هو البقاء
والبقاء المتصل في اللايرنت . ولما كنت أعلم أنك تريد
أن تنفذ إليه لتصارع فيه المينوتور فقد أردت أن أظهرك

على جلية الامر . وما اطلت عليك الحديث إلا لا حذرَكَ ؛
فلن تستطيع أن تخرج منه وحدك بل يجب أن
تصحبك أريان . ولكنها يجب أن تبقى على عتبة الدار
بحيث لا تشم هذا الارجح . فيجب أن تحتفظ بعقلها
وصوابها في الوقت الذي تخضع أنت فيه للسكر . ولكن
اجتهد في أن تملك أمرك حتى حين يأخذك السكر ، هذا هو
المهم . وقد لا تعينك إرادتك على ذلك ، فقد قلت : إن
هذا الدخان يضعفها ، فقد خطر لي أن أجمع بينك وبين
أريان بخيط يمثل الواجب تمثيلاً مُحَسَّساً . هذا الخيط
يمكنك بل يضطرك إلى أن تعود إليها بعد أن تكون قد
بعدت عنها . واحرص على كل حال على ألا تقطعه مهما
يحط بك من الظروف ، ومهما تلح عليك المغريات ، ومهما
تدفعك إليه شجاعتك من مغامرة . عد إليها وإلا ذهب
عنك كل شيء ، بل ذهب عنك الخير كله . سيكون هذا

الخيطة وصل ما بينك وبين الماضي . فعد إليه ، عد إلى نفسك . فلا شيء ينشأ من لا شيء ، ولن يعتمد مستقبل أمرك إلا على ماضيك الذي كنت فيه وحاضرك الذي أنت عليه .

وقد كنت خليقاً أن أحدثك أقل مما حدثتك لو أنني عُنيت بك أقل مما اعني بك في حقيقة الأمر . ولكني أريد قبل أن تستقبل مصيرك أن تسمع لحديث ابني فستحقق حين تسمعه مقدار الخطر الذي أنت مقدم عليه وإن كان هو قد استطاع بفضل أن يفلت من فتنة اللابيرنت ولكن عقله على ذلك قد ظل خاضعاً لسحر هذه الفتنة .

ثم اتجه إلى باب منخفض وأزاح ما كان يغطيه من أستار وقال في صوت رفيع :

— أي إيكار ، أي بُنى العزيز ، أقبل واعرض

علينا ما يساورك من القلق ، بل امض كما تفعل في أثناء
وحدتك في حديثك إلى نفسك دون أن تحفل بي ولا
بضيقي . هبنا غير حاضرين .

Faint, illegible text at the top of the page, possibly a header or title.

Second block of faint, illegible text, appearing as several lines.

Third block of faint, illegible text, continuing the content.

Fourth block of faint, illegible text, possibly a concluding paragraph.

Fifth block of faint, illegible text at the bottom of the page.

رأيت فتى يقبل وهو يوشك أن يكون في سنى وقد
 ظهر في هذا الضوء الضئيل رائع الجمال . وكان شعره
 الأشقر الطويل يتدلى خصلا على كتفيه . وكان لحظه
 الثابت يظهر كأنه لا يقف عند الأشياء . وكان عاريا إلى
 موضع النطاق قد شد حول خصره منطقة ضيقة من
 المعدن . وقد ظهر لى أن إزاراً واسعاً من نسيج أسود
 ومن جلد يأخذ من أعلى وركيه وقد جمع طرفاه بعقدة
 ضخمة . وقد وقفت عيناي على حذاءين من جلد أبيض
 كانا يشيران إلى أنه يتأهب للخروج ، ولكن عقله

وحده كان يسعى ، ولم يكن يظهر عليه أنه يرانا . وكان يقول ماضيا فيما كان يدير عقله من حديث :

— أيهما بدء الوجود : الرجل أم المرأة ؟ أيمكن أن يكون الخالد مؤنثا ؟ أيتها الصور الكثيرة أى أم هائلة أخرجتك من أحشائها ؟ وأى مبدأ والد ألقاك فى هذه الأحشاء ؟ يا لها تثنية غير معقولة ، وإذن فالإله هو الطفل . إن عقلى يرفض أن ينقسم الإله . فإن قبول الانقسام معناه الصراع . كل ما للإله فهو للحرب . ليست هناك آهة وإنما هو إله واحد . إن تسلط الإله هو السلام ، كل شىء يأوى ويأترف فى الإله الواحد .

ثم سكت حيناً واستأنف قائلاً :

— لآجل أن نحقق الإله يجب على الإنسان أن ينحاز وأن يضيق ؛ فليس الإله إلا متفرقا . إن الآهة

منقسمون . الإله الواحد لا حد له . الآلهة الكثيرون
مجليون .

ثم عاد إلى الصمت واستأنف الحديث في صوت قلق
ولكن متقطع .

— ولكن ماسر هذا كله أيها الإله الواضح؟ ما أصل
هذا العناء؟ ما أصل هذا الجهد؟ ونحو ماذا؟ ما علة
الوجود؟ وما علة البحث عن علة لكل شيء؟ كيف
نتجه؟ وأين نقف؟ متى نستطيع أن نقول لقد انتهى كل
شيء آمين! كيف الوصول إلى الإله حين نبدأ من
الإنسان؟ وإذا بدأت من الإله فكيف أصل
إلى نفسى؟ ولكن أليس من الممكن أن يكون الإله
من صنع الناس كما أن الناس من صنع الإله؟ في
مفترق الطريق هذا، في قاب هذا الصليب يريد عقلى
إن يثبت .

وكان وهو يتحدث على هذا النحو يتصبب عرقا
وتظهر عروق جبهته منتفخة ، أو ظهر لى ذلك على
الأقل ، فلم أكن أستطيع أن أتبينه فى الضوء الضئيل ،
ولكنى كنت أسمعه يلهث كمن بذل جهداً عظيماً .
ثم سكت لحظة وأستأنف قائلاً :

— لست أدرى أين يبدأ الإله وأنا أقل علماً بأين
ينتهى ! بل لعل أحسن التعبير عما فى نفسى إن قلت إن
بداءته لاتنتهى . آه ! لقد سكرت بإذن وبلن وبما دام !
وبهذا التخليط والاستنتاج . لن أصل إلى قياس أجمل من
الذى وصلت إليه أول الأمر . فإذا كنت قد وضعت
فيه الإله فأنى واجده . ولا أجده إلا إن وضعته .
لقد جبت طرق المنطق كلها فى اتجاهها الأفقى حتى تعبت
من الأسفار . إنى لأزحف ، إنى لأريد أن أصعد ، أن
أخلص من ظلى ، من مادتى القدرة ، أن أتخفف من ثقل

ماضى ، إن أفق السماء ليدعوني . يا للشعر ! يخيل إلى أن
 نفسا علوياً يجذبني . أى عقل الإنسان : لأصعدن إلى
 حيث تستطيع أن ترقى . إن أبى الخبير فى الرياضة سيهينى
 لى الوسيلة إلى ذلك . سأذهب وحدى . أن لى من الجراءة
 ما يمكننى من هذا . سأؤدى الثمن . لا سبيل إلى الخروج
 من هذا . أيها العقل الرائع الذى طال تخبطه فى المشكلات
 ستندفع فى طريق غير معبدة . لست أدرى ما هذا السحر
 الذى يدعونى ، ولكنى أعلم أن لست هناك إلا غاية
 واحدة هى الإله .

ثم تركنا راجعا أدراجه حتى بلغ الأستار فأزالها
 واستخفى من دونها وردّها كما كانت . قال ديدال :

— ياله من طفل بأس عزيز ! لم يكن يدرى كيف
 يئلت من اللايرنت ؛ لأنه لم يكن يعلم أن اللايرنت
 إنما هو فى نفسه، فصنعت له مستجيبا لدعائه جناحين

يتيحان له أن يطير . كان يرى أن لا طريق له إلا السماء
بعد أن أخذت عليه طرق الأرض . وكنت أعرف فيه
زرعة صوفية ، فلم تدهشني رغبته . رغبته لم تبلغ غايتها
كما رأيت ؛ فعلى رغم تحذيري أراد أن يصعد أكثر
مما ينبغي ! أسرف في تقدير قوته فهوى إلى البحر . وفيه
لقي الموت . صحت دهشا .

— كيف يكون ذلك ؟ لقد رأيتَه الآن حيا !

أجاب :

— نعم ! لقد رأيتَه الآن وخيّل إليك أنه حي ولكنه
قدمات . وهنا أخشى يا نيسوس ألا يستطيع عقلك ،
على أنه يوناني دقيق متقبل للحقائق كلها ، ألا يتبعني ؛
فأنا نفسي قد احتجت إلى وقت طويل لأفهم ما يأتي
وأطمئن إليه . كل واحد منا لا يحيا حياته الخاصة المقسومة
له إذا تبين أن ميزانه ثقيل حين توزن النفوس . فهو في

حياته الإنسانية ينمو ويتم ما كتب له ثم يموت . ولكن الزمن نفسه لا يوجد بالقياس إلى حياة أخرى ، وهي الحياة الصحيحة الخالدة التي ترسم فيها كل حركة بمعناها الدقيق الذي تدل عليه . فقد كان إيكار قبل أن يولد ، وهو الآن بعد أن مات ، صرورة القلق الإنساني والبحث والطموح والشعر ، وهو قد تقمص هذا كله أثناء حياته القصيرة . أدى مهمته كما كان ينبغي أن يؤديها ، ولكن أمره لا يقف عنده وحده ، كذلك شأن الأبطال جميعاً ؛ فإن أعمالهم تبقى ثم يتناولها الشعر والفن فتصبح رموزاً خالدة . ومن هنا ظل أوريون ^(٥٥) الصائد يتتبع في حقول البرواق في دار الموتى تلك الوحوش التي قتلها في حياته على حين صارت صورته نجماً في السماء . ومن هنا ظل تفتال ^(٥٦) ظمناً إلى آخر الدهر ؛ وظل سينريف ^(٥٧) يرفع نحو القمة التي لا تُنال ، صخرته الثقيلة التي

لا تكاد تبلغ القمة حتى تهوى ، تصور بذلك ذلك أهمّ
 الملحّ الذي لزم سيزيف حين كان ملكا لكورنت . فقد
 ينبغي أن تعلم أن ليس في دار الموتى عقوبة إلا استئناف
 الأعمال التي لم تتم .

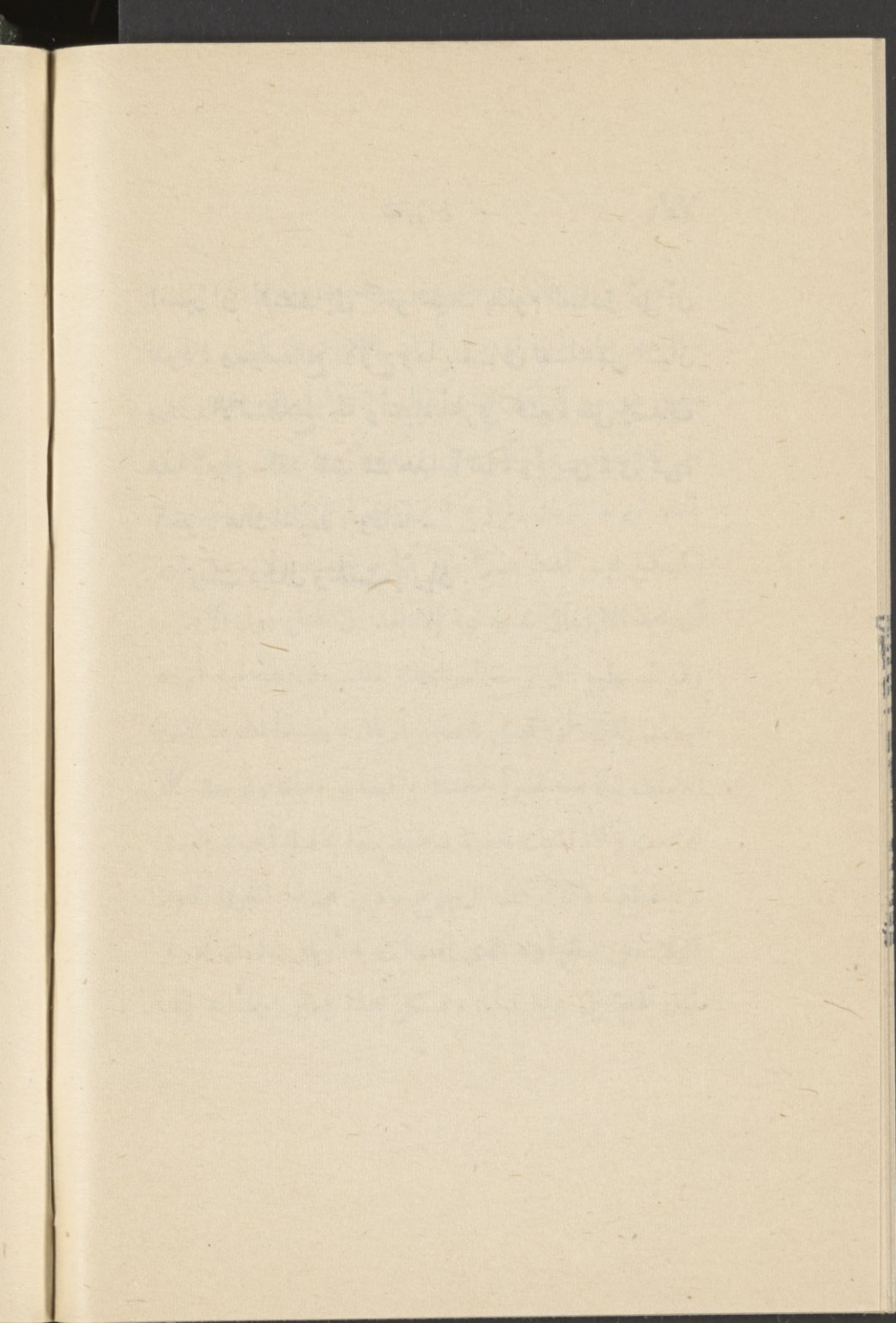
الأمر في ذلك كالأمر في أنواع الحيوان كلها ،
 تموت الأشخاص دون أن يؤثر موتها في بقاء النوع
 ونموه ؛ فليس بين الحيوان شخص ، على حين أن الفرد
 وحده هو صاحب الخطر في النوع الإنساني . ومن
 هنا تستطيع أن تقول إن مينوس يحيا الآن في مدينته
 كنوسوس حياة هي مقدمة لحياته القضائية في الدار
 الآخرة ، كما أن پاسيفاييه وأريان تستجيبان لما كتب عليهما
 القضاء . وأنت نفسك يا ثيسوس على ما يظهر وما تعتقد
 من استخفافك بكل شيء ، لن تفلت كما لم يفلت هيرقل
 وچازون^(٥٨) ورسية^(٥٩) من هذا القضاء الذي فرض على

كل واحد منكم نفسه ، ورسم له طريقه . ويجب أن تعلم — فقد أتيج لى أن أستنبط المستقبل من الحاضر — أن أمامك أعمالاً جليلاً يجب أن تتمها ، وهى من نوع آخر يخالف ما قدمت من عمل فيما مضى . أعمال ستصغر أمامها ما تركت التى أتممتها إلى الآن . عليك أن تنشئ أثينا وأن تقيم فيها سلطان العقل .

فلا تضيع وقتك فى اللابيرنت ولا تضيعه بين ذراعى أريان حين تخرج من اللابيرنت ظافراً . امض لطيتك وانظر الى الكسل على أنه خيانة ، وخذ نفسك بالألتمس الراحة إلا حين تتم ما كتب عليك وحين تأوى إلى الموت . وكذلك تستطيع بعد هذا الموت الظاهر أن تستأنف حياة متصلة متجددة فيما يدين الناس لك به من جميل . امض لطيتك ، امض أمامك . امض فى طريقك إليها القتي الشجاع مجمع المدن .

واسمع لى الآن يا ثيسوس واحفظ ما أقول لك .
 سننتصر على المينوتور فى أكبر الظن دون كثير عناء ؛
 فليس هو من البأس بحيث يقال . لقد قيل إنه يعيش على
 لحم الإنسان ، ولكن متى رأيت الثيرة تعيش على شىء
 آخر غير ما تثبت المروج ؟ إن دخول اللابيرنت يسير ،
 ولكن ليس أشد عسراً من الخروج منه . لا سبيل إلى
 أن يجد الإنسان نفسه فيه إلا بعد أن يضل أول الأمر .
 ولن تستطيع أن ترجع أدراجك فليس للخطو فيه أثر ،
 فيجب إذن أن تصل نفسك بأريان ، بهذا الخيط الذى
 أعددت لك منه قدراً حسناً ، فخذهُ معك وأرسلهُ كلما
 تقدمت وكما انتهت خصلة منه فصلها بخصلة أخرى بحيث
 لا ينقطع ، فإذا أردت الرجوع فأدرْ هذا الخيط قليلاً
 قليلاً حتى تبلغ أوله الذى أمسكت به أريان . لست أدرى
 لماذا ألحَّ إلى هذا الحد ، فكل هذا يسير جداً ، إنما

العسير ان تحتفظ إلى آخر خيط بالعزم الصادق على أن
تعود . وسيصطلح الأرج وما يبعث في نفسك من نسيان
وحب الاستطلاع لها وأشياء أخرى كثيرة على إضعاف
هذا العزم . لقد قلت لك هذا آنفا ، ولم يبق لدى شيء
آخر . هاك الخيط . وداعاً .
تركت ديدال ولحقت بأريان .



وهذا الخيط هو الذي أثار أول خصومة بين أريان
 وبينى ؛ فقد أرادت أن أدفعه إليها وأن تحتفظ به في
 حجرها زاعمة أن من عمل النساء جمع الخيط وتفريقه ،
 وأنها في ذلك ماهرة صناع ، ولكنها في حقيقة الأمر
 كانت تريد أن تسيطر على مصيرى ، وهذا هو الشيء
 الذى لم أكن أرضاه مهما تكن الظروف . وكنت أقدر
 أيضاً أنها ستحرص على استبقائى فلا ترسل الخيط إلا في
 بطاء ، وقد تشده إليها إن أرادت فتحول بينى وبين
 المضى إلى غايتى كما أريد . وقد أصرت على الامتناع رغم

سلاحها الأخير وهو الدموع ؛ لأنني كنت أعلم أن من شأن النساء إذا نزلت لهن عن أيسر الأمر ألا يرضين إلا بأكثره . أسلم لهن الأصبع الصغرى فستتبعها اليد ثم الذراع ثم سائر الجسم .

ولم يكن هذا الخيط متخذاً من الكتان ولا من الصوف ، وإنما اتخذه ديدال من مادة صلبة لم يستطع سيني حين جرّبه أن يصنع فيها شيئاً . وقد تركت سيني عند أريان مصمماً ، رغم ما بينه لي دايدال من أن الأداة تمنح الإنسان قوة إلى قوة ، على أن أصرع المينوتور بقوة ذراعيّ وحدها . فلما بلغت مدخل اللابيرانت وهو رواق تزينه الفأس المثناة وهي علامة شائعة في الجزيرة ، ألححت على أريان في أن تلزمه ولا تفارقه ، وقد حرصت على أن تدير الخيط حول معصمي بهقده زعمت أنها عقدة الزواج ، ثم ألصقت شفيتها بشفتي وقتاً

حسبته لن ينقضى . فقد كنت حريصا على أن أتقدم .
 وكان رفاقي الثلاثة عشر من الفتيات والفتيان وفيهم
 بيريتوس قد سبقونى . وقد وجدتهم فى الحجرة الأولى وقد
 أذهلهم الأرج . وقد نسيت أن أقول إن ديدال قد أعطانى
 مع الخيط قطعة من النسيج قد غمسها فى مادة مضادة لهذا
 الطيب ، وأحلى علىّ فى أن أكم بها فى دائماً ؛ وأن أريان
 كانت قد استأثرت بهذه القطعة أيضاً عند الرواق . وبفضل
 هذه الكمامة استطعت أن أحتفظ بصوابى وإرادتى ،
 ولكنى كنت أختنق شيئاً ، فقد تعودت ، كما قلت ،
 ألا أجد الحياة الكاملة إلا فى الهواء الطلق ، فكان هذا
 الهواء المغلق يضايقنى بعض الشيء .

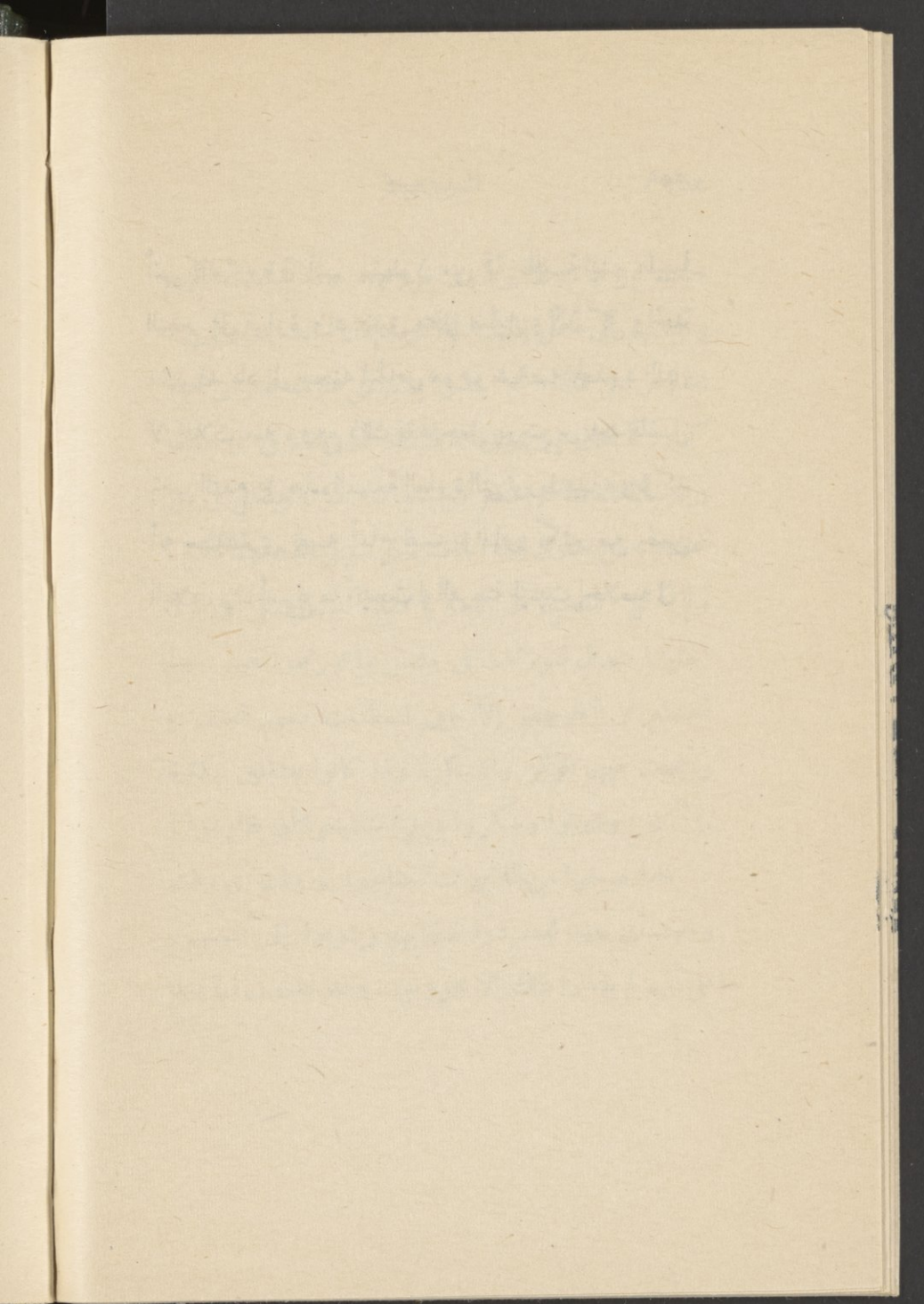
وتقدمت مرسلا الخيط حتى بلغت الحجرة الثانية ،
 فإذا هى أشد إظلاماً ، ثم بلغت أخرى أشد إظلاماً ثم
 انتهيت إلى أخرى لم أكن أتقدم فيها إلا متحسباً ،

ولكن يدي وهي تتبع الحائط لقيت مفتاح باب أدرته
فانفتح لي على ضوء ساطع ، وإذا أنا أبلغ حقيقة . وري
أمامي على أرض مبسوطة قد نسقت فيها شقائق النعمان
والخزاي والنسرين والقرنفل ، المينوتور مستلقياً
مسترخياً . وكان نائماً من حسن حظي . وكنت خليقاً أن
أعجل وأن أستفيد من نومه ، ولكن هذا النوم نفسه
كان يقفني ، وكان الوحش جميلاً وكان أمره كأمر
السنثور (٦٠) قد اجتمعت له والتأمت فيه ملامح من
الإنسان والحيوان ، وكان شاباً ، وكان شبابه يضيف
إلى جماله ظرفاً لم أكن أحققه ، وكان هذا كله سلاحاً أقوى
بالقياس إلى من القوة ، فلم يكن لي بد من ان أستحضر
شجاعتي كلها . فلا سبيل إلى الجهاد المنتج إلا مع شيء
من البغض . ولم أكن أستطيع أن أبغضه ، بل لبثت
وقتاً أمعن النظر إليه ، ولكنه فتح إحدى عينيه

فتبينت أنه أبله ، ورأيت أن قد آن الوقت للإقدام .
ولست أستطيع أن أذكر ما صنعت ولا ما كان علي وجه
التحقيق ؛ فقد كانت الكمامة تأخذ علي التنفس ، ولكني
مع ذلك لم أفات من تأثير الأرج حتى أصابني من ذلك
ضعف في الذاكرة . فاذا كنت قد انتصرت على المينوتور
فإني لم أحتفظ من ذلك إلا بأثر مختلط لا يخلو من لذة .
ولست أبيع لنفسي أن أخترع ولا أن أتكثر ، ولكني
أذكر كذلك أن جمال الحديقة كاد يلهيني عن نفسي ، ولم
أخذ في إدارة الخيط بعد أن انتصرت على المينوتور لأجد
أصحابي في الحجرة الأولى إلا أسفأ . وقد رأيتهم حول
مائدة قد جمعت عليها ألوان من الطعام لا أدرى كيف
جاءت ولا من جاء بها ، وهم يزدردون ويعبّون ويعبث
بعضهم بأجسام بعض ويضحكون كأنهم المجانين أو البله .
فلما هممت أن أخرجهم أبوا عليّ وأعلنوا إليّ أنهم راضون

حيث هم ، وأنهم لا يريدون خروجاً . وقد ألححت عليهم
وأنبأتهم أني أحمل إليهم الخلاص وإذا هم يتصايحون :
الخلاص من ماذا ! ثم أخذوا يسبونني ، وقد أحزنتني هذا
كثيراً لمكان بيريتوس ، فقد كان يتميزني في مشقة
ويعيب الشجاعة ويسخر من شجاعته هو ، ويعلم في غير
تحفظ أنه لن يفارق لذته الحاضرة في سبيل المجد مهما يكن .
ولم أكن أستطيع أن ألومه ؛ فقد كنت أعلم أني لولا
احتياط ديدال لتورطت في مثل ما تورطوا فيه . ولم
أستطع أن أخرجهم إلا حين اصطنعت معهم العنف ،
وأعملت فيهم الوكز واللكز . وقد كانوا مثقلين بكثرة
ما أكلوا وشربوا وسكروا ، فلم يستطيعوا أن يقاوموا .
فلما خرجوا من اللابيرنت احتاجوا إلى وقت أي وقت
وجهد أي جهد ليستردوا صوابهم ويثوبوا إلى أنفسهم .
على أنهم لم يفعلوا ذلك إلا محزونين . وقد حدثوني فيما بعد

أنهم كانوا يرون أنهم يهبطون من قمة عالية يشع عليها
النعيم إلى قرارة وادٍ ضيق مظلم ضئيل ؛ لأن كل واحد
منهم قد عاد إلى سجنه الخاص ، وهو شخصه المحدود الذي
لا إفلات منه . ومع ذلك فقد جعل بيريتوس بعد قليل
يخس الندم على هذه الصنعة العابرة التي تورط فيها ، ويؤكد
أنه سيشتري نفسه أمام نفسه وأمامي بكثير من حسن
البلاء . وما أسرع ما أتاحت له الفرصة ليثبت إخلاصه لي .



لم أكن أخفى عليه شيئاً؛ فقد كان يعرف وجدى
 بأريان ووجدى عليها . بل لم أكن أخفى عليه أنى كنت
 متيماً بفيدير وإن لم تكن قد تجاوزت الصبا بعد . كانت
 فى ذلك الوقت تكثر من اصطناع أرجوحة قد علقته إلى
 نخلتين ، وكنت إذا رأيتها تترجح على هذا النحو وتعبث
 الريح بثوبها أخذنى شىء يشبه الدوار . ولكنى كنت
 أدير رأسى مسرعاً وأخفى ميلى متحفظاً إذا ظهرت أريان
 أخشى أن تثور غيرة الأخت الكبرى . ومن الشرائع
 يقصر الإنسان فى إرضاء ما يساور نفسه من رغبة ؛

ولكن لم يكن بد من اصطناع الحيلة والمكر لتحقيق ما كان يدور في خلدى من خطف هذه الصبية . هناك ابتكر بيريتوس وسيلة إلى تحقيق مأربى ، دلت على ما كان يمتاز به من سعة الحيلة . وكانت إقامتنا فى الجزيرة تطول وإن لم أكن أفكر كما لم تكن أريان تفكر إلا فى السفر ، ولكن الشيء الذى كانت أريان تجهله هو أنى كنت مصمما على ألا أترك الجزيرة إلا ومعى فيدر . وكان بيريتوس يعلم ذلك . وهاك الحيلة التى أعاننى بها :

كان أكثر حرية منى ؛ فقد كانت أريان تأخذ على كل طريق ، وكان من أجل ذلك قد استطاع أن يدرس شؤون الجزيرة ويعرف من عاداتها ما كنت أجهل — قال لى ذات صباح :

— أظن أنى قد بلغت الغاية . تعلم أن هذين الحكيمين مينوس ورادامونت قد نظما أخلاق الجزيرة وسيرة

أهلها ، ونظما بنوع خاص شؤون هذا الحب البغيض الذى يعطف أهل الجزيرة على الغلمان كما ترى ذلك فى ثقافتهم ، إلى حد أن كل فتى قد بلغ الحلم ، ولم يكن له خليل من الذين يكبرونه فى السن يتعرض لكثير من الازدراء والضعة ؛ لأنه إن كان رائع الجمال فيجب أن يكون فيه عيب يتصل بعقله أو جسمه ويصرف عنه الخلان . وقد أفضى إلى جاكوس أصغر أبناء مينوس والذى يشبه فيدر حتى كأنه ضريبها بما يثير ذلك فى نفسه من هم . وقد حاولت أن أغريه بأن لقب الإمارة الذى يحمله قد أربب الناس فلم يسم إليه منهم أحد ، فكان يجيبنى بأن هذا ممكن ، ولكنه محزن له ؛ ويجب أن يعلم الناس أن هذا يحزن مينوس نفسه ؛ لأن مينوس لا يحفل عادة بتفاوت الطبقات ولا باختلاف الدرجات ، ومع ذلك فقد يسره أن يرى أميراً ممتازاً مثلك يُعنى بانه . وقد قدرت أن

أريان التي تغار من أختها أشد الغيرة لن تغار من أخيها ؛
 فلم ير الناس امرأة تغار من غلام . وعلى كل حال فسترى
 أن من غير اللائق أن تظهر شيئاً من الريبة ، فتستطيع أن
 تقدم في غير خوف .

صحت به :

— وهل تظن أن الخوف يقضى عن شيء ، ولكني
 وإن كنت يونانياً لا أسيخ مثل هذا الحب لغلام مهما
 يكن حظه من الجمال والظرف ، أختلف في ذلك عن
 هيرقل الذي أترك له في غير أسف خليله هيلاس (٦١) .
 ومهما يكن الشبه بين صاحبك جلوكوس وبين فيدر فأني
 أريدها هي لا هو .

قال :

— لم تفهم عني ، فلست أقترح عليك أن تستصحب
 جلوكوس مكان فيدر ، وإنما أعرض عليك أن تستصحب

فيدر مكان جلوكوس ، وأن تخدع أريان وتخدع الناس جميعا فتخيل إليهم أنك ستستصحب الفتى . اسمع وافهم عني ، إن من العادات التي أقرها مينوس نفسه في الجزيرة أن يستصحب الخليل فتاه ليعيش معه في داره شهرين كاملين ، ثم يعلن الغلام بعد ذلك إلى الناس أنه راض عن خليله وعن سيرته معه . واستصحبك لجلوكوس هذا الموهوم معناه أن تحمله إلى هذه السفينة التي جاءت بنا من بلاد اليونان ، فإذا اجتمعنا في السفينة ومعنا فيدر مستخفية ومعنا أريان التي تحرص على مرافقتنا فأبحر بالسفينة مسرعا حتى تبعد عن الساحل . ولأهل أقریطش سفن كثيرة ولكنها أبطأ جريا من سفننا ، فإذا طلبونا فن اليسير أن نفوتهم . تحدث في هذا إلى مينوس وثق بأنه سيرضى عنه بشرط أن تقنعه بأنك ستستصحب جلوكوس لا فيدر ، فلن يحلم بخليل مؤدب

لجوكوس خيرا منك . ولكن قل لي أوافق أنت بأن
فيدر راضية بصحبتك ؟

— لست أدري إلى الآن ؛ فإن أريان مَعْنِيَّةٌ بالأخو
أخو إلى أختها بحيث لم أستطع أن أوذنها بذلك . . .
ولكني واثق بأنها لن تتردد في صحبتي حين تعلم أنني
أوثرها على أختها .

وكان يجب قبل كل شيء أن أهنيء أريان نفسها لهذه
الخطئة ، فأفضيت إليها بالأمر مخادعا لما دبرنا .
فلم تكذب تسمع لي حتى صاحت :

— ياها خطئة رائعة ! كم أنا سعيدة بالسفر مع أخي
الصغير . إنك لا تدري إلى أي حد أحبه وأوثره لظرفه
وخفته . إنا متفقان دائما . وعلى ما بيننا من اختلاف
السن ، فهو أثر الرفاق إلى . ليس شيء أجدر أن يوسع
أفقه ويفتح عقله من إقامة في بلد أجنبي . سيتقن اليونانية

في أثينا ، وهو يتكلمها على نحو لا بأس به ، ولكنه
 يصطنع لهجة أجنبية سيصلحها في وقت قصير ، وستكون
 له قدوة صالحة . وددت لو يحرص على أن يشبهك .
 وقد كنت أترك هذه البائسة تقول غير عالمة بما كان
 يخبأ لها .

وكان من الواجب أيضا أن ننبه جلوكوس لنتقي
 كل خطر . وقد نهض پيريتوس بهذه المهمة ، وقد أنبأني
 بعد ذلك بأن الفتى أحس شيئا كثيرا من خيبة الأمل ؛
 فقد كان يؤثر بالطبع أن يسافر هو ، ولم يكن بد من إثارة
 حبه لأخته وعطفه عليها ليقبل الاشتراك في هذا التدبير .
 وكان يجب أن ننبه فيدر أيضا ؛ فقد كانت خليقة أن تصيح
 إذا اختطف قسراً أو مكرراً . ولكن پيريتوس اعتمد
 على أن الصبيين سيجدان في هذا التدبير ما يلهيها ،
 فسيمبث جلوكوس بأبويه ، وستعبت فيدر بأختها .

وإذن فقد دخلت فيدر في الزى المألوف لجلوكوس ،
وكانت قامتها متعادلتين . فلما أخفت شعرها وسترت
أسفل وجهها لم يكن من الممكن أن تفتن أريان
للخدعة .

ومن المحقق أني كنت آلم لا اضطراري إلى خيانة
مينوس الذي بالغ في الإحسان إليّ . وقد تحدث إليّ
بما كان ينتظر من الأثر الحسن الذي ستركه صحبتي في
نفس ابنه وقد كنت ضيفه ، فقد خفرت ذمة مضيبي
ولكني لم أحفل ، وليس من شأنى أن أحفل ، بهذا التردد
الذي يبقيه وخز الضمير ، وكنت أوثر إرضاء رغباتي على
الاعتراف بالجميل وعلى مراعاة اللياقة ، فكل شيء مباح
ولا بد مما ليس منه بد .

وقد سبقتنا أريان إلى السفينة لتهيئ لنفسها فيها
مكاناً ملائماً . ولم نكن ننتظر إلا فيدر لنسلم سفينتنا

الى الهرب . لم نختطفها حين أغلق الليل كما دبرنا أول الأمر ، بل بعد عشاء الأسرة التي حرصت على أن تشارك فيه ، ثم اعتلت بما ألفت من ترك الأسرة في أثر العشاء مقدره أن أحداً لن يفطن لسفرها قبل أن يشرق النهار . وكذلك مضى كل شيء على ما كنا نهوى ، وكذلك هبطت إلى أتیکا مع فيدر بعد أيام . وبعد إن أنزلت أختها الجميلة المتعبة أريان في جزيرة ناكسوس (٦٢) .

وقد عرفت حين وصلت أرضنا أن إيجيه أبى لم يكذبى القلاع السود التي أهملت أن أضع مكانها القلاع البيض كما اتفقنا حتى ألقى نفسه في البحر ؛ وقد أشرت إلى ذلك آنفاً واست أحب أن أعود إليه . وإنما أضيف أنى رأيت فيما يرى النائم أثناء الليلة الأخيرة أنى أصبحت ملكاً لأتيكا . . . ومهما يكن من شيء فقد كان هذا اليوم ، يوم عيد للشعب ولى ؛ لأننا عدنا فيه سالمين ،

ولأنني ارتقيت إلى العرش ، ويوم حداد لموت أبي . ومن
 أجل ذلك أنشأت من الفور حفلات تتبادل فيها الجوقات
 أغاني الحزن وأغاني الابتهاج . وحرصت مع أصحابي الذين
 نجوا أن نشارك بالرقص في هذا الحفل . حزن وابتهاج !
 كان من الملائم أن نمسك الشعب على هاتين العاطفتين
 المتناقضتين .

وقد لامني اللاتمون بعد ذلك في سيرتي مع آريان ،
قالوا إني سرت معها سيرة الجبن ، ولم يكن يجمل بي أن
أدعها ، وأن أدعها في جزيرة بنوع خاص . سخف ؛ فقد
كنت حريصاً على أن أجعل البحر بينها وبينني ؛ فقد كانت
تتبعني كما يتتبع الصائد صيده في إلحاح . ولما استكشفت
ما دبرت من مكر ، وعرفت أختها في زي جالوكوس ثار
ثأرها ، وجعلت تدفع صيحات موقعة ، ووصفتني
بالخيانة . فلما أتقت عليّ واضطرتني إلى أن أنبئها بأني
سأنزلها في أول جزيرة تدفعنا إليها الريح التي أخذت

ثور ، أندرتني بقصيدة ستنشئها تصور فيها هذا المجر
 الوضع . أجبته على الفور أنها لن تستطيع أن تصنع خيراً
 من هذه القصيدة التي ستكون رائعة من غير شك إن
 جاز أن أحكم بما كنت أرى من ثورتها ولهجتها الغنائية
 الصادقة ، وستكون هذه القصيدة معزية نسليها عن
 حزننا . ولكن كان كل ما كنت أقول لها يزيد ثورتها
 حدة والتهاباً . وكذلك شأن النساء حين يراد ردهن
 إلى العقل . أما أنا فأسلم نفسي دائماً لغريزة تدفعني
 السذاجة إلى أن أثق بها

فقد دفمتنا الريح إلى جزيرة ناكسوس فتركها
 هناك ، وعلمت فيما بعد أن ديونيزوس لحق بها واتخذها
 لنفسه زوجاً . ولعل معنى ذلك أنها تسلت بالحر . ويقال
 إن الإله قد أهدى إليها يوم الزفاف تاجاً من صنع
 ايفايستوس (٦٣) ، وإن هذا التاج يتلألأ الآن بين نجوم

السماء ، وإن ذوس قد استقبأها في الأولب ووهب لها الخلود . ويقال إنها شبهت بأفروديت . وقد تركت هذا كله يشاع ، بل حرصت على أن أسكت الألسنة المتهمة لي ، فبذات ما استطعت لتأليها ، واستحدثت لها عبادة خاصة تكلفت أن أشارك فيها بالرقص . ومن الحق أنها ما كانت لتظفر بكل هذا الامتياز لو لم تلق منى هذا الهجران .

وهناك أحداث منحولة غنيت بها الأساطير :
 كاختطاف هيلانة ^(٦٤) وهبوط بيريتوس إلى دار الموتى ،
 واستحياء روزر بين ^(٦٥) . فلم أحاول أن أكذب
 ما أشيع حول أريان من مثل هذه الأساطير رغبة في أن
 يبعد صوتي ويعظم خطري . بل لعل أضفت إلى هذه
 الأساطير أساطير أخرى لأمسك الشعب على الايمان ،
 وأمنعه من هذا الاستعداد للسخر من كل شيء ، كما يظهر

هذا واضحاً عند أهل أتيكا . فقد يكون من الخير أن يتحرر الشعب ، ولكن بشرط ألا يتخذ السخرية وسيلة إلى هذا التحرر .

والحق أنى منذ عدت إلى أتيكا احتفظت بالوفاء لفيدر . فقد تزوجت من المرأة ومن المدينة جميعاً . كنت زوجاً ، وانتقل إلى الملك من طريق الوراثة . وكنت أقول لنفسى : لقد انتهى عصر المغامرات ؛ فليس المهم الآن أن أفتح ، وإنما المهم أن أملك .

ولم يكن الملك شيئاً يسيراً ؛ فلم تكذب أتيكا توجد في ذلك الوقت ، وإنما كانت أتيكا مجموعة من قرى صغيرة ينافس بعضها بعضاً في التفوق ، وينشأ عن هذا التنافس ألوان من الخصومات والغارات والصراع الذى لا ينتهى . فكان يجب أن أوحدها كلها ، وأن أركز السلطان ؛ وهو شئ لم أظفر به إلا بعد مشقة وجهد بذلت في سبيله القوة والحيلة .

وكان أبى إيچيه يرى أن يثبت سلطانه باستبقا،
 الخلاف بين القرى . وقد لاحظت أن هناة المواطنين
 يضيعها الاختلاف ، وتبينت أن أكثر الشر إنما يأتى
 من تفاوت الثروة ، وحرص كل فرد على أن ينمى ثروته .
 ولم أكن أنا حريصا على الثراء ، وإنما كنت معنيا بالمصلحة
 العامة بمقدار عنايتى بمصلحتى ، بل أكثر من عنايتى
 بمصلحتى ، فقد أعطيت القدوة حين أخذت نفسى بحياة
 بسيطة ، ثم قسمت الأرض قسمة عدلا بين المواطنين ،
 فألغيت التنافس والتفوق وما ينشأ عنهما من الآثام .
 وكانت خطة قاسية أرضت الفقراء من غير شك
 وهم كثرة الناس ، ولكنها أسخطت الأغنياء لأنى
 نزعته منهم بعض ما كانوا يملكون . وكان الأغنياء
 قليلين ولكنهم كانوا مهرة . وقد جمعت أجلهم خطرا
 وقلت لهم :

— إني لا احفل بشيء كما أحفل بالقيمة الفردية ،
 ولا ألتفت إلى غيرها من المزايا . لقد عرفتم كيف تثرون
 بما لكم من مهارة ودراية بجمع الثروة وتنميتها ، ولكنكم
 اتخذتم الجور والبغى سبيلا إلى الثراء في أكثر الأحيان .
 والخصومة التي تثور بينكم تعرض الدولة للخطر ، وأنا
 أريد أن تكون الدولة قوية بما من مما تكيّدون . بهذا
 وحده تستطيع أن تنعم وأن تقاوم غارة العدو . إن هذا
 الطمع البغيض في المال الذي يغريكم لا يكفل لكم السعادة
 لأنه لا يرضى . فكأنما اكتسب الإنسان ثمنه أن يزداد
 كسبه . سأنتقص إذن ثروتكم بالقوة (التي أملكها)
 إذا لم تدعنوا لهذا راضين ، ولن أحتفظ لنفسي إلا بحماية
 القوانين وقيادة الجيش ، فأما ما دون ذلك فلا يعنيني .
 وأنا أريد أن أعيش بعد أن وليت الملك كما كنت أعيش
 قبل ذلك على حظ من المساواة مع أهون الناس شأنًا .

وسأعرف كيف أفرض احترام القانون وكيف أفرض
احترامى إذا لم أفرض خوفاً . وأريد أن يقال من حولنا
إن أتينا تدير أمرها حكومة شعبية لا حكومة طاغية .
فكل مواطن سيستمتع بما يستمتع غيره به من الحقوق
السياسية ، لا عبرة بما يكون بينهم من اختلاف المولد .
فإذا لم تقبلوا ذلك عن رضا فقد أنبأتكم بأنى أستطيع أن
أحملكم عليه كرها .

سأهدم بل سأحمو من الأرض محاكمكم الصغيرة
المحلية ، وسأهدم وأحمو من الأرض مجالسكم
الإقليمية ، وسأجمع تحت الأكروپول ما أخذ الناس
يسمونه أثينا ، وقد وعدت الآلهة الذين سيعينوننى
بأن الأجيال المقبلة لن تعظم إلا اسماً واحداً هو اسم
أثينا . وسأحرر مدينتى لپلاس (٦٦) فأما الآن وقد
سمعتهم فالصرفوا وأطيعوا .

ثم أضفت العمل إلى القول ، فنزلت عن مظاهر الملك
 ودخلت في الصف ، ولم أتهيب أن أظهر للناس جميعا بغير
 حرس شأني في ذلك شأن المواطنين جميعا . ولكني
 كنت أعني دائما بالشئون العامة محافظا على الوفاق مقرا
 للنظام .

وقد استمع بيريتوس لهذه الخطبة التي ألقيتها على
 السادة ، فقال لي إنها خطبة رائعة ، ولكنها سخيفة .
 وكان يعلل ذلك بأن المساواة بين الناس ليست طبيعية
 بل ليست شيئا يبتغى . فمن العدل أن يتفوق الأخير على
 طعام الناس بما تخوّلهم الفضيلة من امتياز . وهؤلاء
 الطعام إذا لم تُثر بينهم التنافس والتراحم والغيرة ظلوا
 هامدين خامدين أشبه شيء بلقاء الراكد الآسن ؛ فليس لهم
 يد من حافظ إلى العمل . فاحذر ألا يدفعهم هذا الحافز
 إلى الثورة بك والانتقاض عليك . وسواء أردت أم لم

ترد فإن هذه التسوية الأولى التي تطمح إليها والتي تكفل للناس جميعاً تكافؤ الفرص ليسعوا إلى الحياة من مستوى واحد، ستنتهي قطعاً إلى الاختلاف والتفاوت، فتنشأ طبقات تتأثر بما يميز الأفراد به من الكفاية وحسن البلاء، ستنشأ طبقة العامة الشقية والأرستقراطية السعيدة.

قلت :

— إنى أقدر ذلك وأرجو أن يكون في وقت قريب، ولكنى لا أدري لم تشق العامة إذا كانت هذه الأرستقراطية الجديدة التي سأرهاها أرستقراطية العقل لا أرستقراطية المال.

ثم أردت أن يزداد خطر أئتنا من الخطر والبأس، فأعلنت أنها تتلقى في غير تمييز ولا تفریق كل من يقبل عليها ليقيم فيها مهما يكن وطنه الأول، وانطلق الدعاة من حول المدينة يصيحون: « أيها الشعوب، هلم إلى أئتنا ».

وقد ذاع ذلك حتى بلغ أبعد الآماد . أليس هذا هو
الذي حمل أوديب ذلك الملك المخلوع البأس على أن يسعى
إلى أتیکا يلتمس فيها الجوار والحماية ويموت فيها آخر
الأمم؟ ويتيح لي أن أكسب لهذه الأرض هذه البركة
التي كتبها الآلهة لمثواه الأخير . سأحدث عن هذا
الموضوع بعض الشيء .

وقد ضمنت للقادمين على أثينا نفس الحقوق التي
يستمتع بها المواطنون الأولون ، مؤجلا كل تفرقة إلى
ما يسفر عنه الاختبار . فالاختبار وحده هو الذي يميز
الخبث من الطيب . ولم أرد أن أحكم على أحد قبل أن
أثبتن بلائه . بحيث لا أحقق تفرقة بين الآثينيين في الطبقة
والمنزلة إلا لمصلحة النظام العام إذا اقتضت الضرورة
شيئاً من ذلك بعد الاختبار . وكذلك استحق الآثينيون
وخدمهم بفضلي أنا اسم « الشعب » الذي أطلق عليهم

ولم يطلق إلا عليهم . هذا هو المجد الذي كسبته لنفسى
والذى يربى على كل ما شيدت قديماً من مآثرة ، وهو مجد
لم يبلغه هيرقل ولا جازون ولا بليروفون ولا پرسيه .
ولم يتبعنى مع الأسف بيريتوس زميل الصبا . أما
الابطال الذين سميتهم وأبطال آخرون من أمثال ميلياجر^(٦٧)
وبيليه^(٦٨) فإنهم وقفوا عند مآثرهم الأولى أو مآثرتهم
الأولى ولم يستطيعوا أن يتجاوزوها . ولم أرد أنا أن
أقف عند هذه المآثر ، وكنت أقول لپيريتوس : هناك
وقت لتحرير الأرض من الخوف الذى تثيره الوحوش ،
ووقت آخر لاستثمار هذه الأرض المحررة . وقت لتحرير
الناس من الخوف ، ووقت آخر لتمكينهم من الانتفاع
بهذا التحرير وما يتيح لهم من أمن وسعة . ولا سبيل
إلى هذا إلا النظام الدقيق . ولست أقبل أن يقف الرجل
جهوده على نفسه كما يفعل البيوثيون^(٦٩) . ولا أن يجعل

السعادة الخاملة غايته التي يسعى إليها . وكنت أعتقد أن
 الإنسان ليس حرّاً وأنه لن يكون حرّاً ، وليس من
 الخير أن يكونه . ولكنني لا أستطيع أن أدفعه إلى أمام
 دون رضا ، ولا أن أبلغ منه الرضا إلا إذا خيَّات إلى
 الشعب أنه حر . أردت أن أرتفع به ولم أقبل أن يظل
 راضياً بما قسم له حانياً رأسه من الذل . وكنت أرى أن
 الإنسانية تقدر على أكثر من هذا ، وهي أكرم من أن
 ترضى بهذا . وكنت أذكر ما ألقى إلى ديدال من العلم
 حين كان يزعم أن يورث الناس أسلاب الآلهة . وكانت
 قوتي تأتي من ثقتي بقدرة الإنسان على التقدم .

هناك تخلف عنى بيريتوس ولم يتبعني ، وكان قد
 رافقني وأعانني كثيراً أثناء الشباب ، ولكنني تبينت أن
 استبقاء الصداقة يقفنا عن السعى أو يردنا إلى وراء .
 هناك مواقف لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها

إلا وحيداً . وإذ كان بيريتوس راجح العقل فقد ظلمت
 أسمع لأحاديثه دون أن أزيد على ذلك شيئاً . وقد تقدمت
 به السن ، فجعل يترك حكيمته تستنيم إلى القصد
 والاعتدال ، وهو الذي لم يكن يقنع بشيء . فلم تكن
 مشورته تهدف إلا إلى التحديد والتقيد في كل شيء .
 وكان يقول :

— ليس الإنسان خليقاً أن نشغل به أنفسنا إلى
 هذا الحد .

وكنت أجيبه :

— وبماذا نشغل أنفسنا إذا لم نشغلها بالإنسان الذي
 لم يقل كلمته الأخيرة بعد ؟
 وكان يقول لي أيضاً :

— هوّن عليك . ألم تقدم بين يديك ما يكفي من
 العمل ؟ الآن وقد ضمنت الرخاء والدعة لأثينا تستطيع

أن تستريح إلى المجد وإلى سعادة الزوجية .
 وكان يلح علىّ في أن اعني بفيدير ، ولم يكن
 مخطئا في هذه النصيحة على الأقل . فقد يجب أن أقص
 الآن ما أصاب حياتي المتزلية من اضطراب ، وهذا
 الحداد البغيض الذي أدت به إلى الآلهة ثمن ما أتيت لي
 من نجاح وما التصفت به من مُحب وتيه .

لقد كانت ثقتي بفيدير لا حد لها ، وكنت أراها تزداد
 جمالا وظرفاً على مر الشهور . وكانت حياتها كلها نقاء
 وطهرآ . وكنت قد استنقذتها صبية من بيتها السيئة ؛
 فلم أقدر أنها استبقت من هذه البيئة بعض دواعي الشر .
 وليس من شك في أنها ورثت بعض خصال أمها ، وكان
 اعتذارها فيما بعد بأنها غير مسؤولة ، وبأن القضاء قد
 سخرها لما أراد ، يقوم على بعض الحق . ولكن لم يكن
 هذا كل شيء . وأظن أنها كانت تسرف في ازدراء
 أفروديت . والآلهة ذوو انتقام ، فلم يغن عنها آخر الأمر

إلحاحها في ترضى الإلهة بالقربان والدعاء . فقد كانت فيدير
تقية . كما كانت أسرتها . ولكن كان مما يسوء أن جميع
أعضاء الأسرة لم يكونوا يخلصون لإله بعينه ؛ فقد كانت
باسيفاييه مخلصه لدوس ، وكانت أريان مخلصه لديونيوسوس .
أما أنا فكنت أعبد پلاس أتينييه وأعبد پوسيدون الذى
تجمعنى به صلة خفية ، والذى كان قد أخذ نفسه لشقائى
بأن يستجيب لى حتى لم أدعه عبثاً فى يوم من الأيام . أما
ابنى الذى ولدته لى الأمازون والذى كنت أوتره أشد
الايثار ، فقد كان يعبد أرتيميس إلهة الصيد . وكان عفواً
مثلها بمقدار ما كنت أنا فاجراً فى سنه . وكان يتتبع
الأدغال والغابات عارياً تحت ضوء القمر ، ويتجنب القصر
ومجالس الحكم ولقاء النساء خاصة . ولم يكن يرضى عن
نفسه إلا بين كلاب صيده ، يتتبع بهن إلى أعلى قمم الجبال
وفى أسفل الأودية والوهاد هرب الوحوش . وكثيراً

ما كان يروض الخيل الجامحة يجريهن أهلى رمال الساحل
 ليقحمهن أمواج البحر . ما كان أشد حبي له في أطواره
 تلك ! فقد كان رائعاً ألياً متمرداً إلا علىّ بالطبع ؛ فقد
 كان يؤثرني بالإكبار والإجلال ، ولكن على الأوضاع
 التي تحد من سلطان الإنسان وتقل من عزمه . لقد كنت
 أريد أن أختصه بولاية عهدى ، وكنت خليقاً أن أنام
 هادئاً مطمئناً بعد أن أسلم أعنة الدولة إلى يديه النقيتين ؛
 فقد كنت أعرف فيه الامتناع على الرغبة والرغبة جميعاً .
 ولم أقدر إلا بعد فوات الوقت أن من الممكن أن
 تصبو إليه نفس فيدر . وكان يجب علىّ أن أقدر ذلك ؛
 فقد كان يشبهني حين كنت في سنه . وقد كانت الشيوخوخة
 تسرع إلىّ على حين كانت فيدر تحتفظ بشباب غريب .
 ولعلمها كانت لا تزال تحبني ولكن كما يجب الآباء . وقد
 تعلمت على حساب نفسى أن ليس من الخير أن تبعد آماذ

السن بين الزوجين . ومن أجل ذلك لا ألوم فيدر في هذا
الحب الذي لا يخالف قوانين الطبيعة وإن لم يخل من
بعض الإثم ، وإنما ألومها ولا أغفر لها أنها حين تبينت
الأسبيل إلى إرضاء هذا الحب اتهمت هيپوليت هذا
الابن النقي الوفي بشهوتها الآثمة المنكرة . وقد كنت أباً
غافلاً ، وزوجاً واثقاً ، فصدقتها . وللمرة الوحيدة التي
وثقت فيها بقول امرأة ، ضللت السبيل فاستنزلت سخط
الإله على ابني البريء . وقد استجاب الإله لدعائي
والناس يدعون الآلهة ولكنهم يجهلون أن الآلهة
يستجيبون لهم في أكثر الأحيان فيشقونهم ، وكذلك
رأيتني قد خضعت لإرادة مفاجئة جامحة ضاللة فقتلت
ابني ، وما زلت لذلك جزعا لا أجد سبيلا إلى العزاء .
وقد أحسنت فيدر حين تبينت جريمتها فقضت على
نفسها الموت . ولكني الآن وقد فقدت حتى مودة

بيريتوس أصبحت وحيداً وقد أدركتني الشيخوخة .
وقد تلقيت أوديب منفيًا من وطنه ثيباً قد فقد
عينيه وبدا عليه الضر ، ولكنه على الأقل لم يكن وحيداً
وإنما كان بين ابنتيه يحمل إليه حنانهما ما يخفف من لوعة
أساه . لقد كتب عليه الإخفاق في كل ما حاول ، وكتب
لى النجاح فى كل ما حاولت حتى إن البركة التى قضاها
الآلهة للارض التى تضم جثته بعد موته لم تتح لوطنه
ثيبا ، وإنما أتحت لآثينا .

وإنه ليدهشنى ألا يتحدث الناس إلا قليلا عن التقائنا
فى كولونا (٧٠) ، وعن هذه المواجهة بين مصيرينا فى آخر
الشوط الذى كتب لكل واحد منا أن يقطعه . مع أنى
أنا أرى فى هذا اللقاء قمة ما أثلت لنفسى من مجد ، وتوحيجا
لما قدمت بين يديّ من عمل . لقد أملت كل شىء ورأيت
كل شىء يميل إلى (إذا استثنيت ديدال ولكنه كان

يكبرني جداً . ومع ذلك فقد خضع لي ديدال ، نفسه .)
 وكنت أرى عند أوديب وحده عزة تلاءم عزتي ، ولم
 تكن المحن التي ألمت به إلا لترفع في نفسى مكانة هذا
 المنهزم . لقد انتصرت من غير شك في كل مكان وفي كل
 وقت ، ولكن في مستوى إنسانى متواضع إذا قيس إلى
 أوديب . أما هو فقد قهر أبا الهول ، وأقام الإنسان أمام
 اللغز ، واستطاع أن يقفه بازاء الآلهة . وإذن فكيف
 ولماذا قبل الهزيمة ؟ بل ألم يشارك في تحقيق هذه الهزيمة
 حين فقا عينيه ! لقد كان في هذه الجناية التي جناها على
 نفسه شيء لم أكن أستطيع فهمه . وقد أظهرته على ما أجد
 من دهش ، ولكن تعليله لم يكده يقنعنى . ذلك شيء يجب
 أن أعترف به ، ولعلى لم أحسن الفهم عنه .

قال لى :

— من الحق أنى أستجبت لثورة جامعة من

الغضب ، لم أكن أستطيع أن أوجهها إلا إلى نفسي ، فعلى من كنت أستطيع أن أتور ؟ لقد رأيت هول هذه التهم المنكرة التي ظهرت لى ، فلم أجد بداً من أن أنكر وأحتج . ومع ذلك فلم أكن أريد أن أفقأ عيني بمقدار ما كنت أريد أن أشق هذا المنظر الذى يملؤه الكذب والذى فقدت الإيمان به والذى كنت أضطرب بين مظاهره ، بل لم أكن أفكر فى شيء وإنما دفعتنى إلى ما عملت . فقأت عيني عقاباً لهما على أنهما لم تريا شيئاً كان من الواضح والبداهة بحيث كان خليقاً أن يفقأ عيني ، كما يقال

لست أدرى كيف أبين لك عن ذلك فلم يفهم أحد تلك الصيحة التى بعثتها يومئذ : « إلى أيتها الظالمة . أنت ضوئى » . وأشعر أنك أنت أيضاً لا تفهم هذه الصيحة . لقد سمع الناس من هذه الصيحة شكاة ، مع أنها لم تكن إلا ملاحظة للحقيقة الواقعة . كانت هذه الصيحة تعنى

أن الظلمة قد بددها بالقياس إلى ضوء خارق للطبيعة يغمر
عالم النفوس . وكانت هذه الصيحة تعني : أيتها الظلمة
ستكونين منذ الآن ضوئى . وفي الوقت الذى كانت
الظلمة فيه تحجب عن عيني جمال السماء كانت سماء أخرى
داخلية قد أخذت تتألق فيها النجوم .

ثم سكت ولبت لحظة مغرقاً في تفكير عميق ،
ثم قال :

— لقد كانت تظن بي الفطنة أثناء الشباب . وكنت
أرى نفسى فظناً . ألم أكن أول من أجاب ! بل ألم
أكن الوحيد الذى أجاب على سؤال أبى الهول ! ولكن
يخيل إلى أنى لم آخذ فى النظر الصادق الصحيح إلا منذ
فقات عيني بيدي وحلت بينهما وبين الضوء . أجل !
فى الوقت الذى يحجب فيه العالم الخارجى عن عيني
إلى آخر الدهر تتاح لضميرى نظرة جديدة إلى

عالم داخلى كان العالم الخارجى يشغلى عنه ويحملنى
على ازدرائه .

وهذا العالم الذى لا يحس والذى لا تستطيع حواسنا
أن تطمع فى بلوغه ، هو فيما أعلم الآن وحده الحق . فأما
ماعداه فوهم يخدعنا ويصدنا عن مشاهدة العالم الإلهى
« يجب أن ننصرف عن رؤية العالم لنرى الإله » . كذلك
كان يقول لى ذات يوم ذلك الحكيم الضرير تير سياس
ولم أكن أفهم عنه حينئذ كما أرى الآن يا ثيسوس أنك
لا تفهم عنى .

قلت :

— لا أحاول أن أنكر خطر هذا العالم الذى
تستكشفه منذ فقدت عينيك ، ولكن الذى لا أفهمه
هو أنك تجعل هذا العالم ضداً معانداً للعالم الذى نراه
ولنعيش ونعمل فيه .

أجاب :

— ذلك أن نظرة الضمير هذه أظهرتني لأول مرة على ما لم أكن أرى ، فافتنعت بهذا الذي ستسمعه . لقد أقمت ملكي الإنسانى على جريمة فنشأ عن ذلك أن أصبح كل ما أتيت به بعد الملك ملوثاً ، لا بالقياس إلى ما صدر عنى أنا من قول أو عمل فحسب ، بل كذلك بالقياس إلى ابنيّ اللذين تركت لهما التاج : فقد تركت من انور ذلك الملك المخزى الذى ساقته إلى الجريمة . وأنت تستطيع أن تعرف إلى أى جريمة جديدة دفع ابناى وأى قضاء مهين مخز قد ألحّ على كل ما تلد الإنسانية الخاطئة . وليس ابناى إلا مثلاً صارخاً لهذه المحنة ؛ فهما ثمرة الإثم ، وهما من أجل ذلك أشد ملاءمة لهذه المحنة . ولكن يخيّل إلى أن هناك إثماً مستأصلاً قد شقيت به الإنسانية ولن ينجو من آثاره أحد حتى الأخير ، إلا

أن تنال الإنسانية رحمة تغسل عنها هذا الوضر .
ثم عاد إلى الصمت لحظات كأنه كان يريد أن يعين في
التفكير إلى أبعد مما بلغ ، ثم قال :

— إنك تدهش لأنى فقأت عيني ، وأنا أيضاً دهش .
ولكن لعل في هذا العمل الأحمق القاسى شيئاً آخر هو
هذه الحاجة الخفية إلى أن أدفع حظى إلى غايته ، وأبلغ
بألمى أبعد أماده وأتم بذلك مصيراً من مصاير الأبطال .
ولعلى أحسست فى غير وضوح ما فى الألم من جلال وتطهير
للفوس يكره البطل أن يمتنع عليه . وأعتقد أن هذا هو
الذى يثبت عظمته ، وأنه لا يرقى إلى العظمة حقاً إلا حين
يسقط ضحية ، فيكره بذلك الآلهة على أن يعرفوه ،
ويتزع من أيديهم سلاح الانتقام . ومهما يكن من
شئ فإن خطاياى وآثامى مهما تبلغ من الشناعة
والبشاعة ، لا تمنعنى الآن من أن أجد سعادة داخلية

رائعة تكافئ كل مالقيت من ألم وما شقيت به من بؤس .

قلت حين رأيت أنه أتم حديثه :

— أيها العزيز أوديب ، لا يسعني إلا أن أثني على هذه الحكمة التي تصطنعها والتي تتجاوز طاقة الإنسان . ولكن تفكيري لا يستطيع أن يرافق تفكيرك في هذه الطريق . فأنا ابن هذه الأرض ، وسأبقى ابنها ، وأرى أن الإنسان كائناً من يكون ومهما يكن حظه من هذا الإثم المستأصل الذي تشير إليه ، يجب أن يلعب بالورق الذي أتيح له في هذه الدنيا . وأكبر الظن أنك قد أحسنت الانتفاع بما كتب عليك من البؤس . ولعلك قد أمعنت في ذلك حتى أتيح لك الاتصال بهذا الذي تسميه الإله ، بل أنا أعتقد أن نوعاً من البركة يتصل بك ، ويحل كما يقال في الأرض التي تضم جثتك بعد الموت .

ولم أضف أن الذي كان يعنيني هو أن تكون هذه

الأرض أرض أتيكا، وكنت أهنيء نفسي بأن الآلهة قد
أهدوا إلي ثمرة ثيبا .

وإذا وازنت بين مصيرى ومصير أوديب فانا سعيد،
لأنى أديت ما كان يجب أن أودى . فانا أترك للإنسانية
مدينة أثينا . لقد آثرتها على ابني وزوجي ، وجعلتها
مدينتى . وستسكنها بعد أن أموت ذكراى إلى آخر
الدهر . وأنا أسعى وحيداً راضياً إلى الموت . فقد ذقت
ثمرات الأرض . ويلدلى أن أفكر فى أن الناس بعدى
وبفضلى سيرون أنهم خيراً منا وأسعد منا وأدنى منا
إلى الحرية . لقد أبليت فى خدمة الإنسانية المستقبلية
ما استطعت . لقد حييت .

Faint, illegible handwriting, possibly bleed-through from the reverse side of the page.

ملحق

(١) بيتو : هو الاسم القديم لدلف أخذ من اسم الثعبان بيتون الذى قتله أبولون قريبا من المكان الذى أقيم فيه معبده .

(٢) كدموس : منشىء مدينة ثيبا يقال إنه ابن ملك فينيقي عبر البحر باحثا عن أخته التى اختطفها ذوس . فلما وصل إلى مكان ثيبا وجد تفتينا خطرا فقتله ونثر أسنانه فى الأرض فنشأ منها رجال مسلحون هم بناء المدينة وأصل أهلها .

(٣) ليكوس : ملك من ملوك الاساطير كان صديقا لهرقل .

(٤) امفيون : بطل من أبطال اليونان ولد من صلة بين ذوس وأنتيوب وأهدى إليه أبولون ربابة من ذهب وقد ملك ثيبا وأقام أسوارها . كان يوقع على ربابته فتتسابق الاحجار إلى أماكنها من هذه الأسوار .

(٥) البرناس : جبل يوناني قريب من دلف يرمز به إلى الشعر والفن لمكانه من معبد أبولون .

(٦) هيبوليت : ابن ثيسوس من زوجته انتيوب ملكة الأمازون .

(٧) بات : إله يوناني للمراعي والتطعان اخترع المزمار له قرن الممز وأرجله وفي يده محجر .

(٨) ذوس : أبو الآلهة وعظيمهم وملك الآلهة والناس إليه تصريف شؤون الكون كله بقوته القاهرة وحكمته الخفية وهو مع ذلك لا يفتل من سلطان القضاء .

(٩) تيتيس : إلهة من آلهة البحر تزوجت ملكا يونانيا هو بيليه ، فولدت له أخيل أعظم أبطال اليونان خطراً .

(١٠) بوسيدون : إله البحر وهو أخو دوس وهو خالق الخيل وهو يجمع العواصف ومقرتها .

(١١) إيجيه : ملك أثينا وهو أبو ثيسوس على ما ترى حول
هذه الأبوة من كلام في القصة التي كتبها
أندريه جيد وفي حياة العظماء التي كتبها
بلوتارك .

(١٢) افروديت : هي الزهرة أو فينوس باللاتينية ، وهي إلهة
الجمال والحب نشأت من زبد البحر .

(١٣) اقريطش : جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط لها
مكاتها الممتازة في الحضارة الايجية التي سبقت
حضارة اليونان .

(١٤) ميديه : ساحرة خطفها جازون من كولشيد - في القوقاز -
فلما تركها أثارها النبط ، فذبحت بنيه ثم
انتهت إلى أثينا فتزوجها ملكها ايجيه وهمت
بأن تسم ابنه ثيسوس فلم تفلح وطردها
الاثينيون .

(١٥) جورجونى : وحوش غريبة مروعة مؤنثة وكن ثلاثا بمسخن
من ينظر إليهن حجرا .

(١٦) بليرفون: بطل من أبطال كورنت أحبته ملكة أرجوس ولم تجد عنده لهما صدى. فزعمت لزوجها أنه أراد بها السوء. هنالك كلفه ملك أرجوس مغامرات كثيرة خطيرة خرج منها ظافرا .

(١٧) بيريتيس: قاطع طريق مشهور وهو ابن ايفايستوس .

(١٨) ابيدور : اسم لمدن ثلاث يونانية أشهرها في الجنوب الشرقى لليونان قريبا من أرجوس .

(١٩) برومثيروس: مارد سرق النار من الآلهة وأهداها إلى الناس فعلمهم الحضارة، وعاقبه كبير الآلهة على ذلك فشدته إلى صخرة في القوقاز وسلط عليه نسرا ينهش من كبده التي لا تكاد تفي حتى تتجدد وما زال كذلك حتى أنقذه هيرقل .

(٢٠) بيريتوس: صديق ثيسوس ورفيقه في مغامراته الكثيرة، هبط معه إلى دار الموتى لانتقاذ بريسفونيه فلم يعد .

(٢١) هيرقل : بطل اليونان الأكبر ، ولد من صلة بين كبير الآلهة وبين الكين من أهل ثيبا وعرف بمغامراته الاثنى عشرة وهو الذى أنقذ ثيسوس من دار الموتى حين هبط إليها مع بيريتوس ، أهدت إليه زوجته قيصا مسموما قدرت أنه سيرده إليها فأذاقه الموت .

(٢٢) أمفال : ملكة ليديا ، شغف بها قلب هيرقل فأذله حتى اتخذ المنزل بين يديها كما تصنع النساء .

(٢٣) انتيوب : ملكة الامازون تزوجها ثيسوس فولدت له ابنة هيوليت .

(٢٤) الامازون : شعب من النساء المحاربات كان يعيش على ساحل البحر الأسود غزاه هيرقل وبليروفون وثيسوس الذى تزوج ملكته .

(٢٥) بيتيه : ملك يوناني قديم كان يعرف بالحكمة وهو جد ثيسوس لأمه .

(٢٦) تريزين : مدينة في الشرق الجنوبي لبلاد اليونان كان يملك عليها بيتيه وفيها ولد حفيده ثيسوس .

(٢٧) بيلوپونيز : هو شبه الجزيرة الذي تنتهي به بلاد اليونان جنوبا ويعرف الآن باسم مورا وهو يتخذ اسمه القديم من يلبوس الذي فتحه .

(٢٨) سنيس : قاطع طريق مشهور يقال إنه من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٢٩) بروكروست : قاطع طريق مشهور في آتيكا قهره ثيسوس .

(٣٠) چيريون : مارد ذو رؤس ثلاثة وأجسام ثلاثة قهره هيرقل وساق قطعانه .

(٣١) سيرسيون : قاطع طريق من ولد پوسيدون قتله ثيسوس .

(٣٢) سيرون : قاطع طريق في برزخ كورنت قتله ثيسوس .

(٣٣) بيريجون : بنت اللارد سينيس منحت ثيسوس أحد آبنائه .

(٣٤) ميناليب : هو الابن الذي ولدته بيريجون لثيسوس .

(٣٥) مينوس : أول ملوك أقریطش وهو زوج باسيفائية وأبو أريان وفيدر . ويقال إن الآلهة اختاروه قاضياً في دار الموتى .

(٣٦) أندروچيه : ابن مينوس ملك أقریطش وزوجه باسيفائية .

(٣٧) المنيوتور : كائن غريب فيه ملامح الانسان والثور ولدته باسيفائية ملكة أقریطش حين أحبت مورها الأبيض . وقد قتله ثيسوس .

(٣٨) باسيفائية : زوج مينوس ملك أقریطش أحبت موراً أبيض فولدت له المنيوتور الذي حبسه زوجها مينوس في اللابيرنت .

(٣٩) أميسوس : ثمر في جزيرة أقریطش ؛

(٤٠) كئوسوس : مدينة في أقریطش كانت عاصمة للملك مينوس .

(٤١) ألكيون : طائر خرافي من طير البحر .

(٤٢) ليتوس : مدينة في أقریطش .

- (٤٣) جور تين : مدينة في أقریطش .
- (٤٤) رادامت : هو أخو مينوس ملك أقریطش ، ولد جميعاً لدوس من عشيقته الفنيقية أوروب . وكلاهما كان مشرعاً في حياته وقاضياً بعد موته .
- (٤٥) ديدال : مهندس ومثال أميني بنى اللابيرنت لمينوس .
- (٤٦) اريان : هي ابنة مينوس وباسيفايية أحببت ثيسوس فأقتذته بخيظها من اللابيرنت وفرت معه ولكنه تركها في بعض الطريق .
- (٤٧) فيدر : هي أخت اريان تزوجها ثيسوس فأحبت ابنه الشاب هيبوليت ولم تجد عنده صدى لحبها ، فاتهمته عند أبيه وكان ذلك سبباً لموته . ثم أخذها الندم فقتلت نفسها .
- (٤٨) جلوكوس : ابن مينوس وباسيفاييه .
- (٤٩) ليدا : زوج تندار ملك اسبرتا أحبها ذوس فولدت ابنتها كستور وپولوكس وابنتها هيلانه التي سببت حرب طروادة وكليتمنستر التي قتلت زوجها أجاممنون .

(٥٠) أوروبا : بنت اچينور ملك فينيقيا أحبها ذوس واختطفها فولدت له مينوس ملك أقریطش وأخاه رادامت

(٥١) اللابرنث : قصر بناه ديدال لىنوس ملك أقریطش وفيه كان سجن المنيوتور ومن خصائصه أن من دخله لا يستطيع أن يجد منه مخرجا .

(٥٢) إيكار : ابن ديدال حاول أن يطير بجناحين من ريش وشمع ، فأذابت الشمس جناحيه فهوى ومات .

(٥٣) تالوس : كان قريبا لديدال ومن تلاميذه .

(٥٤) موريس : بحيرة كانت فى الفيوم يقال الآن إن بحيرة قارون من بقاياها .

(٥٥) أوريون : مارد هائل كان مولما بالصيد ودفنه الثرور إلى مباراة إلهة الصيد أرتيميس التى نعتت منه فسلطات عليه عقربا لدغته فمات . ثم جعله الآلهة نجما من نجوم السماء .

(٥٦) تتال : ملك من ملوك ليديا أسرف على نفسه في الثرور
وسخر من الآلهة ، فقدم إليهم في بعض الولائم لحم
ابنه . وقد غضب عليه ذوس فأرسله إلى الجحيم
وقضى عليه أن يشتهي دائماً ولا يجد لشهوته
شفاء على قرب الشفاء منه . فالتمر في تناول
يده ولكنه لا يبلغه ، والماء قريب من شفتيه
ولكنه لا يذوقه .

(٧) سيزيف : بطل من أبطال اليونان أنشأ مدينة كورنت ،
وكان حكيمًا ماكرًا داهية عاند الآلهة وسخر منهم
وقيد الموت حتى ضجج منه الآلهة أنفسهم ، ثم قهره
آخر الأمر وقضوا عليه أن يتفق الدهر كله في
دفع صخرة من أسفل الجبل إلى قته . ولكن
صخرته لا تنفك تهوى إلى القاع كلما أوشكت أن
تبلغ القمة .

(٥٨) چازون : بطل من أبطال اليونان غامر مع جماعة من أتباعه
في طلب الجزة الذهبية وقتل حارسها وهو تنين
عظيم الشر كان يلفظ النار من فمه .

(٥٩) برسيه : بطل من أبطال اليونان ولدته دنائيه حين أحبا
ذوس وتمثل لها مطرا من ذهب .

(٦٠) سنتور : كائنات غريبة قوية كانت لها ملامح الانسان والفرس وكانت بينها وبين الآلهة والأبطال صلوات وخطوب .

(٦١) هيلاس . كان صديقاً شاباً لهرقل رافقه في بعض منامراته ومات في إحدى هذه المغامرات ، فلم يتعز عنه هرقل .

(٦٢) ناكسوس : جزيرة في بحر ايجه ترك فيها ثيسوس صاحبة اريان .

(٦٣) ايفايستوس : إله الحديد والنار وهو ابن ذوس أحفظ أباه ذات يوم ققذف به من أعلى الأولمب إلى الأرض فهو يعرج دائماً .

(٦٤) هيلانة : بنت ذوس ولدتها له ليدا وقد فتن بها أبطال اليونان خطفها ثيسوس ثم ردها أخواها ، ولكن باريس خطفها بعد ذلك إلى طرواده . فكانت سبباً في الحرب المشهورة .

(٦٥) پروزرين : بنت ديمتر إلهة الأرض والحصب خطفها كبير آلهة الجحيم واتخذها لنفسه زوجاً .

(٦٦) بلاس : اسم من أسماء آلهة أثينا حامية مدينة أثينا .

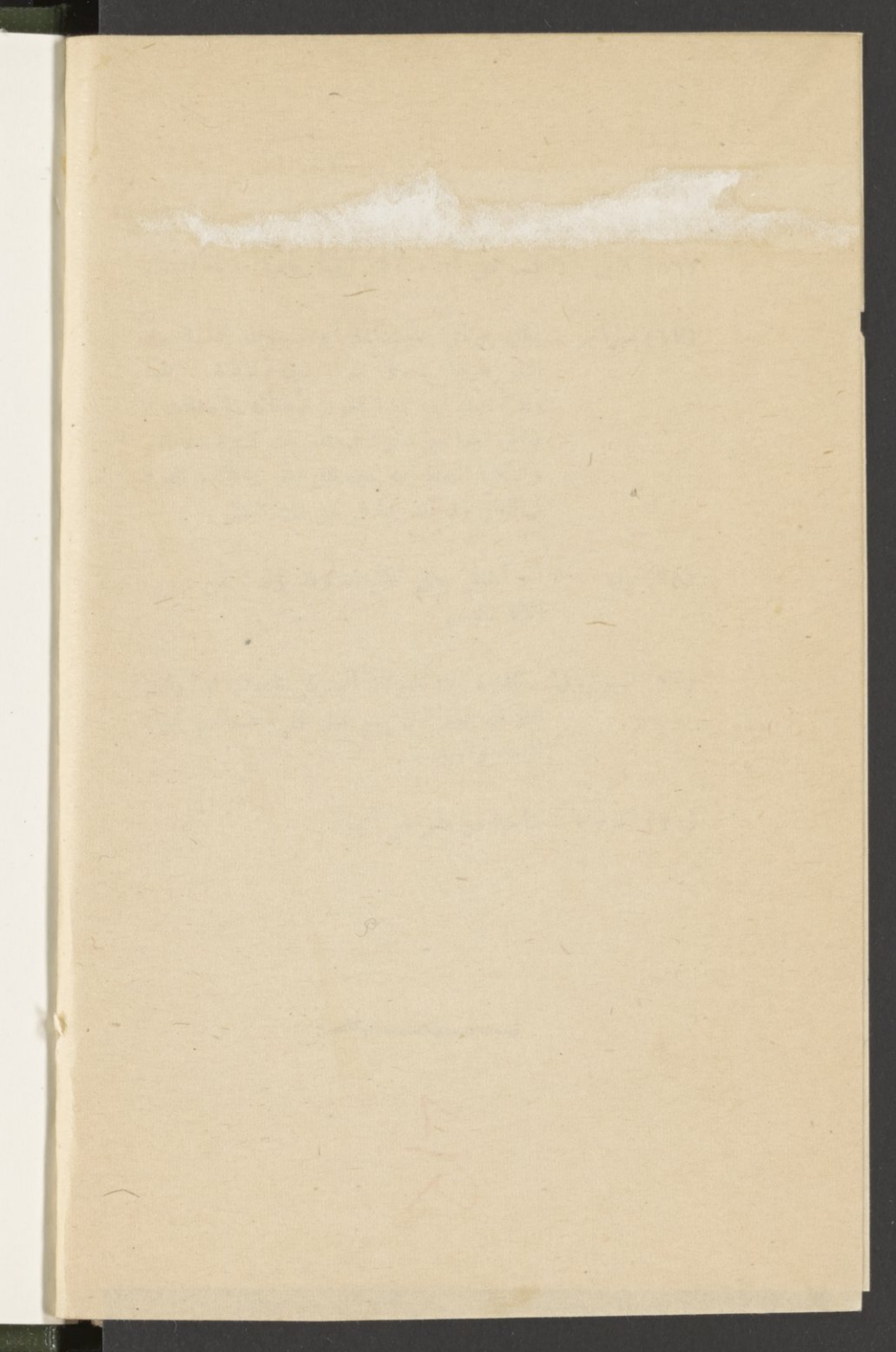
(٦٧) ميلياجر : بطل يوناني علمت أمه أنه سيموت إذا التهمت النار عودا كان في الموقد حين ولادته . فلما ولد أخذت أمه هذا العود فأطفاه واحتفظت به فعاش ابنها حتى شارك في مغامرات كثيرة خطيرة . ولكنه أحفظ أمه حين قتل أخويها فألقت العود في النار ولم يكده يحترق حتى مات البطل .

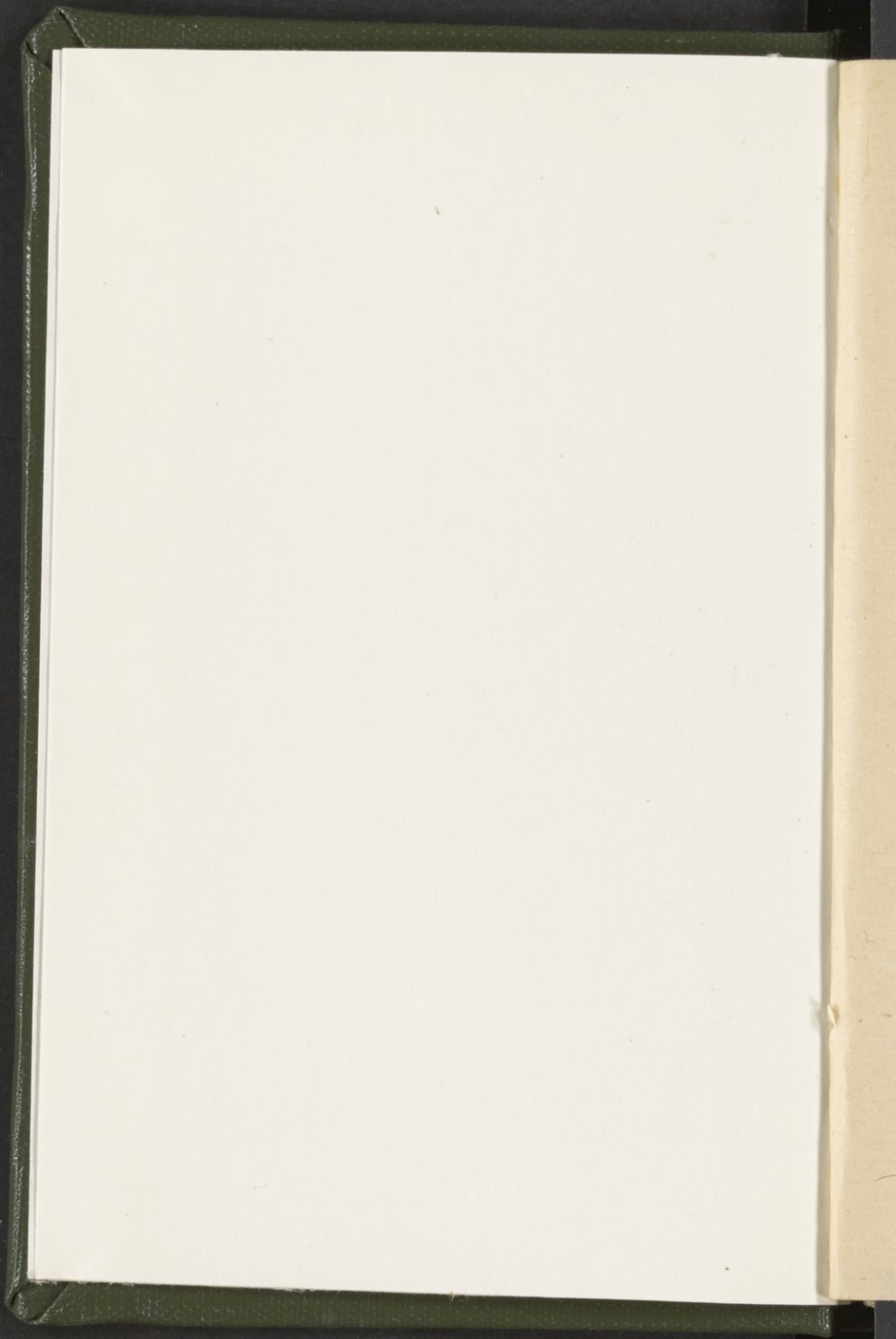
(٦٨) يليله : أبو أخيل بطل الألياذة وقد ولد له من زوجته الإله تيتيس .

(٦٩) البيوثيون : سكان في بلاد اليونان الوسطى قاعدتها ثيبا وكان اليونان يضربون بهم المثل في اكتفاءهم بحياة الرخاء والنباء .

(٧٠) كولونا : ضاحية من ضواحي أثينا .

مطبعة دارالكتاب المصري شركة مساهمة مصرية









1887



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

810033

NYU - BOBST



31142 01459 9487

PQ2613.I2 G412 1946

Min ab'zal